بين العصمة والازدراء
الأنبياء في القرآن والكتاب المقدس

دكتور محمد عمارة

نشر
صحيفة المصريون
http://www.almesryoon.com

إعداد
موقع الإسلام والعالم
http://www.islamegy.com

لماذا ؟!!

قديمة هي افتراءات الشرك والمشركين الوثنيين على رسول الله ، محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ..
فتاريخ هذه الافتراءات والأكاذيب قد بدأ مع ظهور الإسلام ، ودعوة رسوله إلى التوحيد ، وإلى الشريعة الإسلامية الخاتمة لشرائع الأنبياء والمرسلين ..
ولقد سجل القرآن الكريم الكثير من افتراءات الشرك الوثني ـ بزعامة ملأ قريش ـ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسبابهم له ـ بعد أن كانوا قبل البعثة ـ قد أجمعوا على وصفه بالصادق الأمين!

سجل القرآن الكريم وصف المشركين للرسول بأنه :
ساحر ـ وكذاب ـ ومفتر ـ ومجنون ـ وآفاك ـ ومسحور ـ وشاعر ـ وكاهن ..
لقد قالوا إنه:
1 ـ ساحر كذاب :
{وقال الكافرون إن هذا ساحر كذاب} صـ 4

2 ـ ومفتر لما يتلو من كتاب :
{أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين} يونس : 38
{وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون} النحل : 101

3 ـ مجنون :
{وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون} الحجر : 6

4 ـ وآفاك :
{وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤوا ظلما وزورا وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما} الفرقان : 4 - 6

5 ـ ومسحور :
{وقال الظالمون إن تتعبون إلا رجلا مسحورا} الفرقان : 8

6 ـ وشاعر :
{بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر} الأنبياء : 5

7 ـ وكاهن :
{إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون} الحاقة : 40 ـ 42
إلى آخر هذه الأكاذيب والافتراءات التي سجلها القرآن الكريم .. وفندها .. والتي لفظتها تطورات الواقع وحقائق التاريخ ..

* * *

لكن .. إذا جاز ـ وهو غير جائز ـ للمشركين ، الذين عبدوا الأوثان من دون الله ، وسجدوا للأحجار وعظموها .. أن يقولوا ذلك الذي قالوه في نبي التوحيد ، الصادق الأمين .. المبعوث رحمة للعالمين .. الذي وصفه القرآن الكريم بأنه :

1 ـ صاحب الخلق العظيم :
{وإنك لعلى خلق عظيم} القلم : 4

2 ـ والرءوف الرحيم :
{لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم} التوبة : 128

3 ـ والرحمة المهداة للعالمين :
{وما أرسلناك إلى رحمة للعالمين} الأنباء : 107

4 ـ والبشير النذير :
{إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا} البقرة 119

5 ـ والذي اصطفاه الله وأعده وصنعه على عينه :
{يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا إن لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا} المزمل : 1 - 11
{إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك} .. المزمل 20

6 ـ وصاحب الحكمة والموعظة الحسنة :
{ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين} النحل : 125

7 ـ والمبعوث بالهدي ودين الحق :
{هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق} التوبة 33

8 ـ والداعي إلى الحرية وتحطيم الأغلال :
{لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي} البقرة : 256
{لكم دينكم ولي دين} الكافرون : 6
{فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر} الكهف : 29
{فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر} الغاشية : 21 ، 22
{الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم} الأعراف : 157

9 ـ وصاحب الصبر الجميل :
{واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله} يونس : 109
{واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا} المزمل : 10
{واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون} النحل : 127

10 ـ وصاحب الأمة الوسط والشريعة الوسط :
{وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا} البقرة 143

11 ـ والداعي إلى الكلمة السواء :
{قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون} آل عمران : 64

12 ـ والمصدق لما بين يديه من الكتب والرسالات :
{ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون} البقرة : 101

{وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين} آل عمران : 81
{وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه} الأنعام 92
{وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون} المائدة : 48

13 ـ وصاحب الفتح المبين :
{إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا} الفتح : 1 ـ 3

14 ـ والذي صلى عليه الله والملائكة والمؤمنون وسلموا تسليما :
{ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} الأحزاب : 56

* * *

إذا جاز افتراء المشركين على النبي الذي وصفه ربه ـ في محكم التنزيل ـ بهذه الصفات ـ وهو غير جائز ـ .. فكيف سقط ويسقط في هذا المستنقع ـ مستنقع الإساءة والإهانة والسباب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كثيرون من الذين تدينوا بالديانات السماوية ـ اليهودية والنصرانية ـ .. والمفترض أنهم يتلون الكتاب ـ التوراة والإنجيل ـ الذي جاء بالهدى والنور ، ليعلم الناس مكارم الأخلاق ؟!! ..
كيف ؟ ولماذا سقط في هذا المستنقع نفر من أهل الكتاب ، فلحقوا ـ بإساءتهم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسبابهم له ـ بالوثنيين والمشركين .. بل وتفوقوا عليهم في هذا الميدان ؟! ..
ذلك هو السؤال .. الذي تجتهد للإجابة عليه صفحات هذا الكتاب .

****

في التاريخ القديم

إنها قديمة .. ومتجذرة في التراث الغربي ـ تراث الحضارة اليهودية / المسيحية ـ التي لم تبرأ من الوثنية .. ثم في تراث العلمانية ـ التي أحيت روح الوثنية اليونانية ـ .. إنها قديمة ـ في هذه الحضارة ـ تلك الافتراءات على رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى رموز الإسلام ومقدساته ـ وليست بنت القرن الحادي والعشرين ، أو أحداث 11 سبتمبر 2001 ـ في أمريكا ـ والحملة الصليبية المعاصرة ، التي أعقبتها ـ كما يحب كثير من الذين لم يخبروا صفحات التراث الغربي ، الطافحة "بثقافة الكراهية السوداء" ضد الإسلام ورموزه ومقدساته ..

وإذا كانت شهادات الغربيين على هذه الحقيقة هي "شهادة شاهد من أهلها" .. فإننا نقدم ـ في هذا المقام ـ عددا من الشهادات الغربية على قدم وتجدد هذا العداء والافتراء الغربي ، في التراث الديني والمدني للنصارى الغربيين ..

• لقد شهد القائد والكاتب الإنجليزي : الجنرال "جلوب باشا"، جنرال جون باجوت [1897 ـ 1986] ـ صاحب كتاب "الفتوحات العربية" ـ .. والذي عمل قائدا للجيش الأردني حتى العدوان الثلاثي على مصر 1956 .. شهد بأن مشكلة الغرب مع الشرق إنما بدأت بظهور الإسلام !! .. فقال : "إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط إنما يعود إلى القرن السابع للميلاد" !!
• وشهد المستشرق الفرنسي ـ اليهودي الديانة ـ "مكسيم رودنسون" [1915 ـ 2004] بتصاعد هذه الافتراءات الغربية على رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ و"ازدهار فنونها ـ نثرا وشعرا" ـ إبان الحملات الصليبية الغربية على الشرق الإسلامي [489 ـ 690 هـ ـ 1096 ـ 1291 م] ـ فكتب في شهادته هذه يقول :

"لقد حدث أن الكتاب اللاتين ، الذين أخذوا بين سنة 1100 م ، وسنة 1140 م على عاقتهم إشباع هذه الحاجة [كراهية الإسلام] ـ لدى الإنسان العامي ، أخذوا يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمد ، دون أي اعتبار للدقة ، فأطلقوا العنان "لجهل الخيال المنتصر" .. فكان محمد (في عرفهم) : ساحرا ، هدم الكنيسة في إفريقيا ، والشرق عن طريق السحر والخديعة ، وضمن نجاحه بأن أباح الاتصالات الجنسية .. وكان محمد ـ في عرف تلك الملاحم ـ هو صنمهم الرئيسي ، وكان معظم الشعراء الجوالة يعتبرونه كبير آلهة السراسنة ـ البدو ـ وكانت تماثيله (حسب أقوالهم) تصنع في مواد غنية ، وذات أحجام هائلة ..
لقد اعتبر الإسلام في العصور الوسطى نوعا من الانشقاق الديني ، أو هرطقة ضمن المسيحية . وهكذا رآه "دانتي" [1295 - 1321 م] ..

وكان من المحتم أن يؤدي هذا كله إلى تشجيع التمركز حول الذات ، وهي صفحة طبيعية في الأوروبيين ، كانت موجود دائما ، ولكنها اتخذ الآن صبغة تتسم بالازدراء الواضح للآخرين .. "
تلك كان الصورة التي صنعها الخيال الغربي للإسلام ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إبان الحملات الصليبية ـ في العصور الأوروبية الوسطى ـ كما شهد بها وعليها المستشرق الفرنسي "مكسيم رودونسون" (1)
• كذلك شهد المستشرق الإيطالي الشهير "فرانشسكوجابرييلي" [1904 - 1997م] على هذه الحقيقة .. فقال :
"لقد كانت العصور الوسطى الغربية تنظر إلى ظهور الإسلام وانتشاره باعتباره تمزقا شيطانيا في صدر الكنسية المسيحية اليت لم يكد يمر على انتصارها على الوثنية ثلاثة قرون ، وانشقاقا مشئوما قام به شعب بربري .. " (2)
• أما الكاتب السويسري "هوبرت هيركومر" فلقد عرض الافتراءات الغربيين المسيحيين على الإسلام ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأورد في دراسته عن [الصورة الغربية والدراسات العربية الإسلامية] كيف "أن الأوربيين ادعوا أن رسول الإسلام كان كاردينالا كاثوليكيا ، تجاهلته الكنيسة في انتخابات البابا ، فقام بتأسيس طائفة ملحدة في الشرق انتقاما من الكنيسة ، واعتبرت أوروبا المسيحية ـ في القرون الوسطى ـ محمدا ا لمرتد الأكبر عن المسيحية ، الذي يتحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية" ! (3)
• أما توما لاكويني [1225 - 1274 م] ـ أكبر فلاسفة اللاهوت الكنسي ـ وقديس الكاثوليكية ـ فلقد تحدث عن رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال :
"إنه هو الذي أغوى الشعوب من خلال وعوده الشهوانية ، وقام بتحريف جميع الأدلة الواردة في التوراة والأناجيل من خلال الأساطير والخرافات التي كان يتولها على أصحابه . ولم يؤمن برسالة محمد إلا المتوحشون من البشر ، الذين كانوا يعيشون في البادية" !! (4)
• أما رأس البروتستانتية "مارتن لوثر" [1483 - 1546م] فلقد وصف القرآن الكريم بأن :
"كتاب بغيض وفظيع وملعون ، ومليئ بالأكاذيب والخرافات والفظائع" .. معتبرا أن "إزعاج محمد ، والإضرار بالمسلمين يجب أن تكون المقاصد من وراء ترجمة القرآن وتعرف المسيحيين عليه .. وأن على القساوسة أن يخبطوا أمام الشعب عن فظائع محمد ، حق يزداد المسيحيون عداوة له ، وأيضا ليقوى إيمانهم بالمسيحية ، ولتتضاعف جسارتهم وبسالتهم في الحرب ضد الأتراك المسلمين ، وليضحوا بأموالهم وأنفسهم في هذه الحروب" ..
كما وصف رسول الإسلام بأنه : "خادم العاهرات وصائد المموسات" !! (5)
• فلما جاء "دانتي" [1295 - 1321] ـ صاحب الكوميديا الإلهية" ـ رأيناه يضع رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ "في الحفرة التاسعة في ثامن حلقة من حلقات جهنم ، وقد قطعت أجسامهم وشوهت أجسادهم في دار السعير ، لأنهم كانوا في الحياة الدنيا .. [بكذبه وافترائه] .. أهل شجار وشقاق" ! (6)
• ولقد عمقت العنصرية الغربية ، والاستعلاء المتمركز حول الذات هذه الإفتراءات على الجنس العربي عموما .. وبعبارة المستشرقة الألمانية "سيجريد هونكة" 1913 - 1999 :
• "فلقد استقر في أذهان السواد الأعظم من الأوروبيين الازدراء الأحمق الظالم للعرب ، الذي يصمهم ـ جهلا وعدوانا ـ بأنهم "رعاة الماعز والأغنام ، الأجلاف ، لابسو الخرق المهلهلة .. وعبدة الشيطان ، ومحضروا أرواح الموتى ، والسحرة ، وأصحاب التعاويذ وأعمال السحر الأسود ، والذين حذقوا هذا الفن ، واستحوذ عليهم الشيطان ، تحرسهم فيالق من زبانيته من الشياطين .. وقد تربع على عرشهم الذهب "ما هو .." ـ "مخميد" ـ وقد ركعت تحت أقدامه قرابين بشرية يذبحها أتباعه قربانا وزلفى له" !!
• "ولقد صورت الكنيسة الأوروبية رسول الإسلام ساحرا كبيرا .. وصورت "قرطبة" في الأندلس ـ وطن عُباد الشيطان "المتوسلين بالموتى ، الذين قدموا لمحمد الصنم الذهبي الذي كانت تحرسه عصبة من الشياطين ، تضحية بشرية" !! ..

• "فبلاد الإسيلام هي عالم الخرافات والأساطير ، عبد الشيطان ، والسحرة المتضرعين إلى الشيطان .. بلاد الأضاحي البشرية من أجل صنم ذهبي ، تسهر على سلامته عصبة من الشياطين ، اسمه محمد" !! (7)

• أي والله ! هكذا صورت أوروبا في عصورها الوسطى ـ عندما كانت شعوبها تزف في قيود الجهل ولاتخلف والخرافات والظلمات .. وعندما كانت تسيل دماؤها في الحروب الدينية .. ومجازر محاكم التفتيش .. وتحرق العلماء والفلاسفة .. هكذا صورت دين التوحيد والتنزيه وحضارته المزدهرة .. أو الرسول الذي جاء رحمة للعالمين !!

• أما لامؤخر "جي . توينبي" 1889 ـ 1975 / ، فلقد وصف العرب والمسلمين ـ في كتابه [دراسة في التاريخ العلمي] ، بأنهم :

• "غير متحضرين .. وخلق غريب مستبعد من العالم الهليني . أو المتطفلين على الحضارة الهللينية الإغريقية .. أولئك المحمودن البدائيون .. وأقصى القول فيهم : أنهم تقليد بربري جاهلي زائف الديانة السريان الغربية عنهم .. وهم ـ لبدائيتهم وقصورهم ـ لا يسعون إلى اعتناق النصرانية" !!

• كذلك أوردت المستشرقة الألمانية سيجريد هونكة ما كتبه "وليام" ـ من سالبري ـ في وصف العرب والمسلمين بأنهم :

"يعبدون الدرك الأسفل من الشياطين !! فهم "الكفرة الفجرة" ، الذين لا يدينون بالمسيح أو الله ، لأنهم لم يعبدون بعد .. فهم ليسوا سوى ديدان حقيرة .. وسفلة أوغاد .. أعداء الله .. وأعداء المسيح .. مستبيحو قبر المسيح" !! (8)

وإذا كانت الكنيسة الكاثوليكية ـ بقيادة "البابا الذهبي ـ أوربان الثاني [1088 ـ 1099 م] هي التي أشعلت وقادت الحملات الصليبية على الإسلام وأمته وعالمه ـ في العصور الأوروبية الوسطى ـ وتحالفت في هذه الحرب ، مع أمراء الإقطاع الأوروبيين ، ومع البروجوازية في المدن التجارية الإيطالية . فإنها قد قادت ـ كذلك ـ هذه الحملات من الافتراءات والأكاذيب والسباب ، التي صنعت هذه الصورة البائسة والغريبة للإسلام ورسوله وأمته وحضارته .. وذلك لتكون هذه الصورة المزيفة والبائسة حافزا للغوغاء كي ينخرطوا في هذه الحروب الصليبية ، التي تولتها برجوازية المدن التجارية الإيطالية ، لنهب الشرق ، واحتلاله ، وكسر شوكة الإسلام ..

ولقد خطب البابا "أوربان الثاني" في فرسان الإقطاع الأوربيين ، يحثهم على "الحرب المقدسة" ضد المسلمين ، فقال :

"أي خزي يجللنا وأي عار ، لو أن هذا الجنس من الكفار ، الذي لا يليق به إلا كل احتقار ، والذي سقط في هاوية التعري عن كرامة الإنسان ، جاعلا من نفسه عبدا للشيطان ، قد قُدر له الانتصار على شعب الله المختار" ؟!! (9)

• ولقد عرفت هذه الافتراءات ـ الغريبة العجيبة ـ طريقها إلى شعر الملاحم الشعبية ، لتبعئة العامة والدهماء والغوغاء في حملة العداء للإسلام ورسوله وأمته وعالمه .. فنظم شاعر الكنيسة "كونراء" سنة 1300 م "ملحمة رولاند" التي وصف فيها المسلمين بأنهم :

• "الشعب الذي لا يُروى تعطشه سلفك الدماء ، والذي لعنه رب السماء" فهو كفرة وكلاب" وخنازير فجرة ، وهم عبدة الأصنام التي لا حول لها ولا قوة .. الذين لا يستحقون إلا أن يقتلوا وتطرح رممهم في الخلاء ، فهم إلى جنهم بلا مراء" !

وفي هذه "الملحمة الشعبية" يخاطب الشاعر القسيس "كونراء" الشعب المسلم ، فيقول : "إن فحمت ـ [أي محمد] ـ .. قد أرسلني إليك لأطيح رأسك عن كتفيك ، وأطرح للجوارح جثتك ، وأمتشق برمحي هامتك.

"ولتعلم أ، القيصر قد أمر كل من يأبى أن تعمده الكنيسة " ليس له إلا الموت شنقا أو ضربا ، أو حرقا" .

"إن أولئك جميعا دون استثناء حزب الشيطان اللؤماء ، خسرو الدنيا والأخرة ، وحل عليهم غضب الله ، فبطش بهم روحا جسدا ، وكتب عليهم الخلود في جنهم أبدا" !! (10)

* * *

هكذا تمت "صناعة الصورة" الزائفة والبائسة والعجيبة للإسلام ورسوله وأمته وعالمه ـ في العصور الأوروبية الوسطى .. والتي شارك فيها البابوات .. والقديسون .. والشعراء .. والكتاب .. صورة الافتراء على الإسلام ورموزه ومقدساته .. والازدراء بأمته وعالمه .. فاستقر ـ في الوعي لاغربي" ، واللا وعي "مخزون ثقافة الكراهية السوداء" ذلك الذي تحول ـ في التراث الغربي ـ إلى "ألغام" تفجرها "المصالح الامبريالية" و"التعصب الديني" و "ألاستعلاء العنصري" بين الحين والحين ، منذ ذلك التاريخ وحتى هذه اللحظات !!

وإذا كان البعض قد توهم أن هذا تاريخ قديم قد مضى وانقضى .. وأن النهضة الأوروبية وفلسفة التنوير .. والعلمانية قد طوت تلك الصفحات ، وأبرأت الوجدان الغربي من هذه العاهات ، فإننا نسوق حقيقة واحدة ـ كمثال ـ على بقاء هذا المخزون لثقافة الكراهية السوداء فاعلا في التكوين الثقافي الغربي حتى هذه اللحظات ..
ففي عقد الثمانينيات من القرن العشرين ، قام فريق بحثي متخصص ـ تحت إشراف أستاذ غير مسلم ـ هو البروفيسور "فلاتوري" ـ بمراجعة الكتب الدراسية في ألمانيا وحدها ـ فكونت الأخطاء والأكاذيب والافتراءات المتعلقة بالإسلام ورموزه وأمته في هذه الكتب ـ المادة التي امتلأت بها صفحات سبعة وثلاثين مجلدا !!
"ولا تزال تدرس هذه الأكاذيب عن الإسلام والمسلمين للطلاب الألمان .. ولا تزال تكون وعيهم وصورة الإسلام لديهم حتى هذه اللحظات !! ..
هذا عن التاريخ ـ القديم .. والوسيط .. والحديث ـ "الماضي ـ الحاضر" للافتراء على الإسلام ورموزه ومقدساته .. وفي المقدمة من ذلك رسول الإسلام ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

****

في الحقبة الصليبية المعاصرة

أما حقبة "الحملة الصليبية المعاصرة" ـ التي أعلنها الرئيس الأمريكي "بوش ـ الصغير" عقب أحداث 11 سبتمبر سنة 2001 م.. فإنها لم تكن إلا بعثا "لثقافة الكراهية السوداء" هذه ـ ثقافة الإساءة إلى الإسلام ورموزه ومقدساته ـ ولم تكن بداية لهذه الإساءات.. أو استثناء في تاريخ الغرب مع الشرق الإسلامي.. أو ثمرة لتشدد إسلامي سقط فيه بعض المسلمين ـ كما يظن ويتوهم الذين لا دراية لهم بالتاريخ .. تاريخ ثقافة الكراهية السوداء ، التي تبلورت واستكنت في التراث الغربي تجاه الإسلام ورسوله .. والتي ضربنا عليها الأمثال ..
وفي هذه الحملة الصليبية المعاصرة .. قرأنا وسمعنا وشاهدنا العديد من الافتراءات الغربية ضد الإسلام ورسوله .. وضد أمة الإسلام وحضارة الإسلام ..
• فجون أشكروفت ـ وزير العدل الأمريكي ـ يسب إله المسلمين ورب العالمين .. فيقول :
"إن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس .. أما الإسلام فهو دين يطلب الله فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل هذا الإله" ! (11)
ولقد نسى هذا الرجل أن "قيمة" الفداء والشهادة والاستشهاد قد عرفتها المسيحية ـ رغم أن مملكة المسيح ليست في هذا العالم ـ فقدم الآلاف من المسيحيين الشرقيين ـ إبان القهر الروماني ـ أرواحهم وأرواح أبنائهم من أجل الإله !! ..
• والجنرال الأمريكي وليام م . ج. بويكن ـ نائب وزير الدفاع "دونالد رامسفيلد" .. يخطب في إحدى الكنائس ـ وهو بزيه العسكري ـ فيسب إله المسلمين .. ورسولهم .. ويقول :
"إن إلهنا أكبر من إلههم .. إن إلهنا إله حقيقي ، وإله المسلمين صنم .. وإنهم يكرهون الولايات المتحدة الأمريكية ، لأنها أمة مسيحية يهودية ، وحربنا معهم هي حرب على الشيطان .. وإن الإسلام دين شيطاني وشرير" ومحمد هو الشيطان نفسه" !! (12)
• والقس الأمريكي "بات روبرتسون" ـ رئيس التحالف المسيحي الأمريكي .. يعم السباب ليشمل الإسلام والمسلمين .. فيقول :
"إن الإسلام هو دين الإرهاب .. دعا إلى العنف .. وإن أمريكا بحاجة إلى إنذار ضد خطر المسلمين الذين يكرهون أمريكا ويحاولون تدمير إسرائيل" ! (13)
• واللورد الإنجليزي "جورج كيري" ـ كبير أساقفة كانتربري السابق ـ يعم السباب على الثقافة الإسلامية ـ متجاهلا أنها هي التي تأسست عليها النهضة الأوروبية ـ فيقول :
"إن الثقافة الإسلامية استبدادية وتفتقر إلى المرونة .. وهي لم تساهم في التاريخ .. وإن الدول الإسلامية لم يتقدم شيئا للثقافة عبر القرون" ! (14)
• والقس الأمريكي " فرانكلين جراهام" ـ الذي ترأس حفل القسم الدستوري لجورج بوش ـ الصغير ـ وأحد زعماء اليمين الأمريكي ، يصف الإسلام بأنه :
"دين شيطاني ، وشرير" !
• والقس الأمريكي "جيري فاين" ـ وهو من زعماء اليمين الدين ـ يسب نبي الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقول :

"إن محمد هو الشيطان نفسه" !
• أما المستشرق الصهيوني "برنارد لويس" .. فإنه يفتري على القرآن الكريم "وعلى منظومة القيم والأخلاق الإسلامية .. فيقول :
"إن النظام الأخلاقي الذي يستند إليه المسلمون مختلف عما هو في الحضارة اليهودية المسيحية [الغربية] ـ وإن آيات القرآن تصدق على ممارسة العنف ضد غير المسلمين" ! (15)
.. وهو يتناسى ويتغافل عن أن القرآن قد أوجب "البر" والقسط في التعامل مع المخالفين الذين لا يعتدون على الإسلام والمسلمين {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين} ـ الممتحنة : 8
وأن هذا القرآن قد نهى عن العدوان ، ولم يشرع القتال إلا صدا للعدوان {وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين} البقرة : 19
• أما وزير الداخلية الألماني "أوتو شيلي" .. فلقد سب وأهان عقيدة الإسلام والمسلمين فقال :
"إن عقيدة الإسلام هي هرطقة وضلال" ! (16)
• أما الروائي الفرنسي "ميشيل هويلبيك" .. فلقد اغترف من "مخزون ثقافة الكراهية السوداء" . المستكن في التراث الغربي .. مستخدما ذات العبارات التي عرفتها العصور الأوروبية الوسطى .. فوصف الإسلام بأنه :
"دين ظهر في الصحراء ، وسط الأفاعي والجمال والحيوانات المفترسة من كل نوع" !
ووصف المسلمين بأنهم :
"حقراء الصحراء" !!
وقال عن القرآن الكريم .,. وعن الإسلام :
"إن قراءة القرآن مثيرة للتقزز ! .. وإن الإسلام دين عدواني ، لا متسامح ، يجعل الناس أشقياء تعساء" ! (17)

* * *

وفي إطار وسياق هذه "الحملة الصليبية المعاصرة" شهدنا أيضا :
1 ـ الرسوم الدانماركية : في سبتمبر 2005 م ـ التي أساءت الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فصورته في صورة الإرهابي الذي يعتم بعمامة هي عبارة عن قنبلة على وشك الانفجار !! ..
وهي الرسوم التي أعيد نشرها في العديد من الصحف الغربية في يناير 2008 م ـ ثم دعا وزير الداخلية الألماني ـ في 27 فبراير 2008 م ـ من تكرار نشرها ـ مرة ثالثة ـ في صحف بلاد الاتحاد الأوروبي !!

2 ـ وإساءة بابا الفاتيكان "بنديكتوس السادس عشر" إلى الإسلام ورسوله ـ في محاضرته بجامعة ريجنسبورج الألمانية ـ بمدينة "رابتسبون" في 12 سبتمبر 2006 ، وهي المحاضرة التي افترى فيها على الإسلام ،فقال إنه دين لا عقلاني !!
كما افترى فيها على رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ فزعم أنه لم يأتي بأي خير !! وأنه قد آمر بنشر دينه بالسيف والعنف ، كما وصف القرآن بأنه تعليمات وأوامر اللئام" . (18)

3 ـ وفي سبتمبر 2007 م اندلعت مظاهرات التخويف من الإسلام ـ ضد "أسلمة أوروبا" ـ في كثير من المدن الأوروبية .. وشاركت في هذه المظاهرات الأحزاب النازية الجديدة ـ المحظورة قانونا ـ بعد أن غضت الطرف عن مظاهراتها هذه حكومات بلادها "الديمقراطية" !!

4 ـ وفي 2007 م منحت ملكة بريطانيا "الكاتب" سلمان رشدي ـ الذي اشتهر بازدراء رسول الإسلام .. وبيت النبوة ، منحته الملكة "وسام الفارس" !!

5 ـ وفي 13 أكتوبر 2007 م ، تلقى الفاتيكان رسالة من "مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي" بالأردن ـ وقع عليها 138 عالما ومفكرا إسلاميا ـ تدعو الفاتيكان إلى الحوار ، وصولا إلى "كلمة سواء" .. فجاء رد الفاتيكان على هذه الدعوة مهينا لعقائد الإسلام والمسلمين ، إذ قال الناطق باسمه :
"إن الحوار مع المسلمين صعب ، لأنهم يؤمنون أن القرآن من عند الله" !!

6 ـ وفي يناير سنة 2008 م ، منح رئيس الجمهورية الفرنسية "نيكولاي ساركوزي" ـ وهو يهودي الأصل ـ جائزة "سيمون دي بوفوار" [1908 ـ 1986 /] لـ "تسليمة نسرين" ـ البنجلاديشية التي احترفت الطعن في عقائد الإسلام والمسلمين !!

7 ـ وفي مارس سنة 2008 م ، عرض الفيلم الهولندي ـ الذي يسيئ إلى القرآن الكريم ويفتري عليه .. وعنوانه: "الفتنة: القرآن، الفاشي" !!

8 ـ وفي ذات الشهر ـ مارس 2008 ، وفي مهرجان عيد الفصح ، بميدان كنيسة القديس بطرس ، في الفاتيكان ، وعلى مشهد من الجماهير ، وعدسات التصوير التي تنقل المشهد إلى العالم ـ وجه البابا بنديكتوس السادس عشر لطمة إلى العالم الإسلامي ، عندما عمد ـ بنفسه !! ـ الصحفي "مجدي علام" والذي تربى في بيوت الكاثوليك ومدارسهم ـ في مصر ـ ولم يعرف عنه ـ من قبل ـ الانتماء إلى الإسلام !! وساعة ئذ قطع التلفاز الإيطالي إرساله ليبث "الطمة" البابا للمسلمين !!

9 ـ وبعد الفيلم الهولندي "الفتنة .. القرآن الفاشي" ، عرض ـ بهولندا ـ فيلم آخر ، يسيئ إلى رسول الإسلام ـ عنوانه : "الرسول .. هتلر" !!

10 ـ وحتى الكادرينال "المثقف ـ المستنير" د. هانس كينج ، صاحب كتاب [المشترك بين الثقافات] ـ أبى إلا أن يسهم بسهمه في الافتراء على الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم ـ فقال :
"لا شك أن مسألة العنف هي مشكلة رئيسية في الإسلام .. وأن النبي محمدا لم يكن رجل دولة فحسب ، بل كان أيضا قائدا عسكريا (جنرالا) !! .. خاص حروبا عسكرية .. وأن هناك عصرا مبكرا في الإسلام قد تم فيه واقعيا محو المسيحية من الوجود في بلادها الأصلية" ! (19)
نعم .. قال الكادرينال "المثقف ـ المستنير" هذا الكلام .. متجاهلا حقائق التاريخ ، التي شهد عليها ـ وبها ـ كبار أساقفة النصرانية الشرقية .. وأعلام علماء الاستشراق الغربي ـ الذين شهدوا بأن سماحة الإسلام ـ وفتوحاته ـ هم اللذان أنقذا النصرانية الشرقية من القهر الروماني لعقائدها ، والاغتصاب لكنائسها وأديرتها ، والإبادة لمعتنقيها ..
• لقد كان الأسقف القبطي "يوحنا النقيوس" ـ وهو شاهد العيان على الفتح الإسلامي لمصر ـ هذه الحقيقة ، فقال :
"إن الله ـ الذي يصون الحق ـ لم يهمل العلام ، وحكم على الظالمين ، ولم يرحمهم ، لتجرئهم عليه ، وردهم إلى أيدي الإسماعيليين ـ [العرب والمسلمين] .. ثم نهض المسلمون وحازوا كل مدينة مصر .. وبأمر الله الذي يأخذ أرواح حكامهم .. مرض هرقل ومات ..
وكان عمرو بن العاص [50 ق . ه ـ 43 هـ ، 574 ـ 664 م] يقوي كل يوم في عمله ، ويأخذ الضرائب التي حددها ، ولم يأخذ شيئا من مال الكنائس ، ولم يرتكب شيئا ما ، سلبا أو نهبا ، وحافظ عليها [الكنائس] ـ طوال الأيام ..
.. ودخل الأنبا "بنيامين" [39 هـ ـ 659 م] بطرك المصريين مدينة الإسكندرية، بعد هربه من الروم العام 13 ـ [أي العام الثالث عشر من تاريخ هروبه ـ بعد أن أقضه الفتح الإسلامي] ـ وسار إلى كنائسه ، وزراها كلها .. وخطب فقال : لقد وجدت في الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما ، بعد الاضطهادات والمظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون" ..
وكان كل الناس يقولون هذا النفي ، وانتصار الإسلام ، كان بسبب ظلم هرقل الملك ، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين .. وهلك الروم لهذا السبب ، وساد المسلمون مصر.. " (20)
هكذا شهد الأسقف ـ القبطي الأرثوذكسي ـ يوحنا النقيوس على أن الفتح الإسلامي هو الذي أنقذ النصرانية الشرقية .. وحرر بطركها الوطني .. وكنائسها وأديرتها .. وردها إلى أصحابها .. وحافظ عليها طوال الأيام ..
• وبعد ستة قرون من الفتح الإسلامي ، وقيام الدولة الإسلامية الجامعة ـ في رعيتها ـ لألوان الطيف الدين .. وخبرة التعايش بين النصرانية ـ بمذاهبها المختلفة ـ وبين الإسلام .. كرر ذات الحقيقة بطريك السريان "ميخائيل الأكبر" [1126 ـ 1199 /] وبطريك أنطالية اليعقوبي ، وصاحب كتاب الحوليات في تاريخ الكنيسة والشرق ، فقال :
"إن إله الانتقام ، الذي تفرد بالقوة والجبروت ، والذي يديل دولة البشر كما يشاء ، فيؤيتها من يشاء ، لما رأى شرور الروم ، الذين لجأوا إلى لاقوة ونهبوا كنائسنا ، وسلبوا أدريانا في كافة ممتلكاتهم ، وأنزلوا بنا العقاب في غير رحمة ولا شفقة ، أرسل إلينا أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم .. ولما أسلمت المدن للعرب ، خصص هؤلاء لكل طائفة الكنائس التي وجدت في حوزتها .. ولم يكن كسبا هينا أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم وتحمسهم العنيف ضدنا ، وأن نجد أنفسنا في أمن وسلام". (21)

فالأسقف يوحنا النقيوس ـ شاهد العيان على الفتح الإسلامي ـ يصف هذا الفتح بأنه "إنقاذ" للنصرانية الشرقية ولكنائسها وأدريتها وأهلها ، والبطريك مخيائيل الأكبر يرى بعد ستة قرون من هذا الفتح ـ أنه كان "الخلاص" للنصرانية والنصارى من القهر والنهب والإبادة الرمانية" .

• كذلك شهد بهذه الحقيقة ـ حقيقة سماحة الإسلام ودولته وحضارته مع الآخر الديني ـ العلامة الإنجليزي "سير . توماس أرنولد" [1864 ـ 1930 م] ـ صاحب كتاب "الدعوة إلى الإسلام" ـ فقال :
"إنه من الحق أن نقول : إن غير المسلمين قد نعموا ، بوجه الإجمال ، في ظل الحكم الإسلامي ، بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلا في أوروبا قبل الأزمنة الحديثة" . (22)

* * *

لكن .. ورغم نصاعة هذه الحقيقة .. وبالرغم من هذه الشهادات النصرانية على سماحة الإسلام .. ورسوله .. وأمته .. ودولته .. وحضارته .. فلقد شاركت في الإساءة إلى الإسلام .. وكتابه .. ورموزه .. ومقدساته .. مؤسسات .. ومنظمات .. وكنائس .. وقديسون .. وكتاب .. وشعراء .. مثلوا كل ألوان الطيف الغربي من المتدينيين .. إلى العلمانيين .. ومن الليبراليين إلى الفاشيين .. ومن البابا إلى رسامي الكاريكاتير !!

****

الأقباط المتطرفون في مصر

ويبدو أن الأرثوذكسية المصرية قد أبت إلا أن تسقط ـ هي الأخرى ـ في هذا المستنقع ـ مستنقع السباب لرسول الإسلام ـ فألقت "ببذاءتها القبطية" في محاضرات ومسرحيات كنسية.. ثم كتابات على الشبكة العالمية للمعلومات "الإنترنت"..
وفي هذه "البذاءات القبطية" قالوا عن رسول الإسلام ـ صاحب الخلق العظيم ـ الذي أوصى بالقبط خيرا.. والذي أنقذ صاحبته النصرانية الشرقية من الإبادة الرومانية .. وحرروا أوطان الشرق وعقائده شعوبه .. ثم تركوا الناس وما يدينون ، حتى أن نسبة المسلمين في الشرق الإسلامي ، بعد قرن من الفتوحات الإسلامية ، لم تتعد 20 % من سكان الدولة الإسلامية !! (17)

لقد كتب الأقباط الأرثوذكس ـ بلسان "الأب يوتا" ـ وهو اسم حركي لقمص قبطي كبير ـ على موقع : "الهيئة القبطية الكندية" بتاريخ 6-4-2008 م ـ تحت عنوان : [رأيت محمد نبي الإسلام في رؤيا حقيقية] ، فقال :
"إنه رأى في اليقظة نبي الإسلام وحوله المؤمنون به "عراة ، ومنظرهم قبيح جدا ، يحملون في أيديهم مصاحف تقطر دما ، وهم يبكون وينوحون ويصرخون ويلعنون محمد في كل لحظة. وهو ـ أيضا ـ يغوصون في الوحل ، وحولهم الديدان ، وتحيط بهم النار من كل جانب" !!
ويضيف "الأب يوتا" :
"لقد أفهمني الملاك أن الشيطان يفرح بكثرة الهالكين المسلمين ، كما أن محمدا نبي الإسلامي يزداد عذابا كلما هلك أحد المسلمين ، لأنه مسئول أمام الله عن إضلاله ، فكان يحاول أن يرسل رسالة تحذير لكل مسلم ـ حتى يخف عذابه ـ لكي يفكر بعقله ، ويتجه لعبادة الله الحقيقي الحي [المسيح] ـ بعيدا عن الإسلام ، الذي هو فخ الشيطان" !!
ثم .. وبعد هذه "الرؤيا" القبطية الأرثوذكسية .. يعبر "الأب يوتا" عن رأيه الشخصي في رسول الإسلام ـ محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقول :
"إنني شخصيا ، أربأ بالشيطان أن يتمثل بمحمد ، لأن الشيطان لم يفعل ما فعله" !!

* * *

هذه "عينة ـ مجرد "عينة" ـ مما يكتبه رجال دين أقباط ، لهم درجات عليا في السلم الكهنوتي الكنسي ، وينشرونه على شبكة المعلومات !!
• كذلك كتب هذا القس ـ أو "القمص" ؟! ـ الأرثوذكسي ـ "الأب يوتا" ـ "كلاما" سماه "رواية" ، وجعل عنوانها [تيس عزازيل في مكة] .. وجعل صورة غلافها "تيسا" يعلو سطح الكعبة ! .. وفيها :
1 ـ اتهم نبي الإسلام ـ الذي ولد في مجتمع عربي بجعل من صراحة النسب قيمة عليا ومقدسة ـ حتى لقد تخصص في الأنساب الخبراء والحكماء ـ .. اتهم "الأب يوتا" نبي الإسلام بأنه ابن زنا !! .. وأنا أباه من السفاح هو "بحيري الراهب" !! .. وتحدث هذا القس عن حرارة العشق والغرام والممارسات الجنسية بين "آمنة" أم الرسول ـ وبين "بحيري" حديث شاهد العيان على هذا الغرام والممارسات الجنسية !!

2 ـ كما وصف هذا القس ، نبي الإسلام في هذه "الرواية" بأنه : "السفاح .. الإرهابي .. رئيس العاصبة .. وقاطع الطريق" !!

"لقد زعم الأب يوتا ـ ويا العجب ـ أن رسول الإسلام قد ولد بعد وفاة والده ـ عبد الله ـ بأربع سنوات !! ولم يسأل ـ يوتا ـ "عقله" : هل خفي ذلك على مجتمع الشرك في مكة ـ الذي كان يقدس صراحة النسب ـ فوجه إلى الرسول كل الاتهامات السحر .. والإفك .. إلخ .. دون أن يوجه إليه هذه التهمة .. التي كانت كفيلة بالطعن في مكانة ومصداقية "نبي الإسلام" ؟!! (18)

* * *

ولو كانت لدى هذا "الأب يوتا" مسحة من عقل أو منطق ـ ولا نقول أخلاق ـ لسأل نفسه :
ـ أي الثقافتين تلك التي تتهاون مع الزنا والزناة :
• الثقافة التي صورت الأنبياء والمرسلين زناة وأبناء زناة .. والتي نسبت إلى المسيح ـ عليه السلام ـ التسامح مع الزانية ، التي ضبطت متلبسة بالزنا ؟!!
"وقدم إليه الكتب والفريسيون امرأة أمسكت في الزنا، ولما أقاموها في الوسط قالوا له : يا معلم : هذه امرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل .. وموسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم ، فماذا تقول أنت ؟ .. فقال لهم : من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولا بحجر ، وقال للمرأة : ولا أنا أدينك . اذهبي ولا تخطئ أيضا" ـ يوحنا 8 : 3-11 ..

• أم الثقافة القرآنية ـ ثقافة نبي الإسلام ـ التي جعلت جريمة الزنا من كبائر الفواحش .. ولم تقف ـ فقط ـ عند النهي عن اقترافها .. وإنما طلبت عدم الاقتراب مما يفضي إليها .. وشددت على وجوب الابتعاد عما يغري بها ..
{ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا} ـ الإسراء : 32
{الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين} ـ النور : 2 ، 3
أي الثقافتين ـ أيها "الأب يوتا" ـ هي التي تتسامح مع الزنا والزناة ؟ ! .. حتى لتجعل الأنبياء والمرسلين زناة وأبناء زناة ؟!
أهي ثقافة محمد النبي العربي .. الذي ولد في مجتمع يقدس صراحة النسب .. ويجعله قيمة عليا ـ حتى قبل ظهور الإسلام ؟!
أم ثقافة "الأب يوتا" الذي "تربى" على ثقافة الزنا والخنا والفسق والفجور ، التي سطرتها أسفار العهد القديم ؟!!

* * *

هكذا تداعت كل الأطراف .. والمذاهب .. والتيارات .. للهجوم على الإسلام ورموزه ومقدساته .. من الكاثوليك إلى البروتستانت .. إلى الأرثوذكس.. إلى العلمانيين .. ومن الأصوليين إلى الليبراليين !!

• وهنا .. من حق المرء أن يسأل :

ـ هل هؤلاء المسيحيون ، الكاثوليك ، والبروتستانت .. والأرثوذكس ـ الذين وجهوا كل هذا السباب ، وكل هذه الإساءات إلى رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ هم مسيحيون حقا ؟!
إن الإنجيل ـ الذي يحفظون ويرتلون ـ يقول لهم :
"سمعتم أنه قيل : تحب قريبك وتبغض عدوك . وأما أنا فأقول لكم : أبحوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا من أجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم .. لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات" .. متى 5 : 44 ، 45
فإذا كان الإنجيل ـ الذي يحفظون ويرتلون ، وبه يتعبدون ـ يأمرهم أن يحبوا أعداءهم ، ويباركوا لاعنيهم ، ويحسنوا إلى مبغضيهم .. فكيف وجهوا كل هذا السباب وجميع هذه الإساءات إلى نبي الإسلام ، الذي لم يكن لهم عدوا .. ولا مبغضا .. ولا لاعنا ؟!!
إن رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الذي أعطى ـ سنة 10 هـ ، سنة 631 م ـ للنصارى وللنصرانية عهدا وميثاقا "لجميع من ينتحل دعوة النصرانية في مشرق البلاد وغربها ، قريبها وبعديها ، فصيحها وأعجمها .. أن لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين ، وعلى المسلمين ما عليهم .. وأن يذب عنهم كل مكروه ، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما ع ليهم .. وأن أحمى جانبهم ، وأذب عنهم ، وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم ، ومواضع الرهبان ، ومواطن السياح ، حيث كانوا من جبل أو واد أو مغار أو عمران أو سهل أو رمل . وأن أحرس دينهم وملتهم أين كانوا ، من بر أو بحر ، شرقا أو غربا ، بما أحفظ به نفسي وخاصتي وأهل الإسلام من ملّتي ..
ولهم ، إن احتاجوا في مرمة بيعهم وصوامعهم ، أو شيء من مصالح أمورهم ودينهم ، إلى رفد من المسلمين وتقوية لهم على مرمتها ، أن يرفدوا على ذلك ويعاونوا ، ولا يكون ذلك دينا عليهم ، بل تقوية لهم على مصلحة دينهم ، ووفاء بعهد رسول الله ، وهبة لهم ، وسنة لله ورسوله عليهم.." (19)
فهل يستحق رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا هو موقفه من النصارى والنصرانية ـ هل يستحق كل هذه الإساءات والافتراءات والبذاءات من رموز كل مذاهب النصرانية .. في الوقت الذي يأمر فيه الإنجيل المؤمنين بأن يحبوا أعداءهم .. ويباركوا لاعنيهم .. ويحسنوا إلى مبغضيهم ؟!
أم أن هؤلاء ـ الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس ـ الذين وجهوا كل هذه الإساءات إلى رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد كفروا بالإنجيل أيضا .. وليس فقط بالقرآن الكريم ؟ !

****

مدرستان في الفكر الديني

والآن .. نأتي إلى بيت القصيد .. فنسأل السؤال الذي من أجل الإجابة عليه كتبنا هذه الصفحات ..
ـ لماذا يسيء النصارى واليهود إلى رسول الإسلام.. وإلى رموز الإسلام ومقدساته ؟
ـ ولماذا ـ رغم ذلك ـ لم تصدر أدنى إساءة من أي مسلم ـ على امتداد التاريخ ، إلى أي نبي ، أو رسول ، أو رمز من رموز النصرانية أو اليهودية ؟!

* * *

إن الإجابة على هذا السؤال .. والتي هي بيت القصيد في هذه الدراسة .. تقول :
إننا ـ في الفكر الديني ـ لدى أبناء الديانات السماوية الثلاث ـ اليهودية والمسيحية والإسلام ـ بإزاء مدرستين .. وفلسفتين .. ومنهجين .. ونظريتين .. وموقفين من الأنبياء والمرسلين والنبوات والرسالات والرموز والمقدسات التي جاءت بها الديانات :

المدرسة الأولى :
هي المدرسة القرآنية .. التي تقرر الاصطفاء الإلهي والعصمة والقداسة والاحترام والتوقير لجميع الأنبياء والمرسلين .. ولجميع الكتب السماوية .. ولسائر الرموز المقدسة في جميع الرسالات والشرائع السماوية .. فكل الأنبياء

والمرسلين هم الصفوة من عباد الله ، الأخيار ، الذين اصطفاهم واستخلصهم وصنعهم على عينه ، وعصمهم من كل ما ينفّر أو يشين ..

أما المدرسة الثانية :
فهي مدرسة أسفار العهد القديم ـ التي كوَّنت .. ولا تزال تكوِّن ـ الثقافة الدينية لليهود والنصارى .. وتكوِّن الفلسفة والتكوين النفسي لليهود والنصارى ، وتكوِّن ـ كذلك ـ التراث وزاوية الرؤية والنظرة العلمانية في المجتمعات المسيحية ، للدين ورموزه .. وهذه المدرسة ـ مدرسة العهد القديم ـ لا تعترف بأية قداسة أو عصمة أو احترام أو توقير للأنبياء والمرسلين .. بل ـ على العكس من ذلك ـ تقدِّم لهم صورة بائسة ومزرية .. تأنَف منها فطرةُ الناس الأسوياء !!
وهذه المدرسة ـ مدرسة العهد القديم ـ التي كوَّنت وتكوِّن الثقافة الدينية لليهود والنصارى .. والتي تقدِّم الأنبياء والمرسلين في صورة الفسَقة والفجَرة .. والزناة .. وأبناء الزنا .. والمتلصصين على العورات والحُرمات .. والكَذَبَة .. والمتآمرين .. والقَتَلَة .. والمتخلقين بأخلاق الدِّياثة ، بحثًا عن سُحت الدنيا وعرَضها .. إلخ .. إلخ .. تلصِق هذه الصفات القبيحة والأفعال المرذولة بالأنبياء والمرسلين الذين يؤمن بهم اليهود والنصارى !!
فإذا كانت هذه هي منابع الثقافة التي كوَّنت هذه النظرة إلى الأنبياء والمرسلين الذين يؤمنون بهم .. فهل نستغرب ـ والحال كذلك ـ أن يُعمِّموا هذه النظرة والفلسفة والثقافة في نظرتهم إلى رسول الإسلام ـ عليه الصلاة والسلام ؟ !

تلك هي "الحقيقة ـ المشكلة" , "المشكلة ـ الحقيقية" .. التي جعلت الإساءة إلى رسول الإسلام "مكونًا حاضرًا ودائمًا" في الثقافة النصرانية واليهودية .. دائمًا وأبدًا .. على حين عصم القرآن الكريم الثقافة الإسلامية من أية إساءة إلى أي رسول أو نبي من المرسلين والأنبياء الذين اصطفاهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ وصنعهم على عينه .. وكرمهم وعصمهم من كل ما يُنفّر أو يشين ـ من آدم إلى محمد ـ عليهم الصلاة والسلام ..

وهي الحقيقة التي تقدِّم عليها هذه الدراسةُ الأدلة والبراهين ، من المنابع الجوهرية المكونة للعقليتين .. وللفلسفتين .. وللنظرتين .. وللثقافتين : الإسلامية .. واليهودية / المسيحية .. في هذا الميدان ..

****

النظرة القرآنية للأنبياء والمرسلين

إن عصمة الأنبياء والمرسلين عن كل ما ينفّر أو يشين ، هي عقيدة من العقائد الأساسية في الإيمان الإسلامي .. فهم الذين اصطفاهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ من خيار خلقه .. وصنعهم على عينه .. ليكونوا أشراف أقوامهم نسبًا وخَلْقًا وخُلُقًا .. وجعل منهم "المثال .. والقدوة و"الأسوة" والسيرة العطرة ، على امتداد تاريخ النبوات والرسالات .. وهم عنوان كلمة الله .. والمبلِّغون لها إلى أممهم وأقوامهم .. وهم "النموذج" المُجسِّد لمنظومة القيم والأخلاق الدينية في واقع الحياة .. إنهم حلقة الوصل بين الأرض والسماء .. بين الناس وبين الله .. والمرآة التي تتجلى فيها ـ على نحوٍ نسبيّ ورفيع ـ صفاتُ الكمال والجلال والجمال التي تفردت بها ذات الله ـ سبحانه وتعالى ـ على نحو مطلق ولا نهائي ..
بل إن صفات الأنبياء ، وعصمتهم عن كل ما ينفر أو يشين ، هي في العقيدة الإسلامية ـ دليل على الحكمة الإلهية .. وبعض من "الإعجاز" الدال على صدقهم في النبوة والرسالة والتبليغ عن السماء" ..
وبعبارة الأستاذ الشيخ محمد عبده [1266 ـ 1323 هـ ، 1849 ـ 1905 م] :
".. فإن من لوازم الإيمان الإسلامي : وجوبَ الاعتقاد بعلوّ فطرة الأنبياء والمرسلين ، وصحةِ عقولهم ، وصدقِهم في أقوالهم ، وأمانتِهم في تبليغ ما عُهِدَ إليهم أن يبلغوه ، وعصمتِهم في كل ما يشوّه المسيرة البشرية ، وسلامةِ أبدانهم مما تَنْبو عنه الأبصارُ وتَنفر منه الأذواق السليمة ، وأنهم منزّهون عما يضاد شيئًا من هذه الصفات المتقدمة" .
وأن أرواحهم ممدودة من الجلال الإلهي بما لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطوَ عليها سطوةٌ روحانية .. إن لنفوسهم من نقاء الجوهر ، بأصل الفطرة ، ما تستعد به ، من محض الفيض الإلهي ، لأن تتصلَ بالأفق الأعلى ، وتنتهيَ من الإنسانية إلى الذُّروة العليا ، وتشهد من أمر الله شهود العيان ، ما لم يصل غيرُها إلى تعقله أو تحسسه بعَصِيّ الدليل

والبرهان ، وتتلقى عن العليم الحكيم ما يعلو وضوحًا على ما يتلقاه أحدنا من أساتذة التعليم ، ثم تصدر عن ذلك العِلم إلى تعليم ما علمت ودعوة الناس إلى ما حُملت على إبلاغه إ ليهم ..
فهؤلاء الأنبياء والمرسلون من الأمم بمنزلة العقول من الأشخاص ، يُعلّمون الناس من أنباء الغيب ما أذن الله لعباده في العلم به ، مما لو صعب على العقل اكتناهه لم يشق عليه الاعتراف بوجوده ..
يميزهم الله بالفطر السليمة ، ويَبْلُغ بأرواحهم من الكمال ما يطيقون للاستشراق بأنوار علمه ، ولأمانه على مكنون سره ، ما لو انكشف لغيرهم انكشافهُ لهم لفاضت له نفسه ، أو ذهبت بعلقه جلالُه وعظمتُه ، فيُشرفون على الغيب بإذنه ، ويعلمون ما سيكون من شأن الناس فيه ، ويكونون في مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين ، نهاية الشاهد وبداية الغائب ، فهم في الدنيا كأنهم ليسوا من أهلها ، وهم وفد الآخرة في لباس مَن ليس من سكانها ..
ثم يتلقوْن من أمره أن يُحدِّثوا عن جلاله بما خفي عن العقول من شئون حضرته الرفيعة بما يشاء أن يعتقده العباد فيه ، وما قُدّر أن يكون له مدخل في سعادتهم الأخروية ، وأن يبنوا للناس من أحوال الآخرة ما لا بد لهم من علمه ، معبرين عنه بما تحتمله طاقة عقولهم ، ولا يَبْعُد من متناول أفهامهم ، وأن يبلّغوا عنه شرائعَ عامة ، تحدد لهم سَيْرهم في تقويم نفوسهم ، وكبح شهواتهم ، وتعلمهم من الأعمال ما هو مناط سعادتهم وشقائهم في ذلك الكون المُغَيّبِ عن مشاعرهم بتفصيله ، اللاحق علمُه بأعماق ضمائرهم في إجماله ، ويدخل في ذلك جميع الأحكام المتعلقة بكليات الأعمال ، ظاهرة وباطنة .
ثم يؤيدهم بما لا تبلغه قوى البشر من الآيات ، حتى تقوم لهم الحجة ، ويتم الإقناع بصدق الرسالة ، فيكونون بذلك رسلاً من لدنه إلى خلقه مبشرين ومنذرين .." (26)
تلك هي النظرة القرآنية ، والعقيدة الإسلامية في الاصطفاء للأنبياء والمرسلين .. وفي تميزهم وامتيازهم .. وعصمتهم عن كل ما ينفّر أو يشين ..
إنهم ـ والأمم والأقوام ـ بمثابة العقول .. وهم حِلَق الوصل بين الحضرة الإلهية وبين عالم الشهادة ، يشرفون على الغيب بإذن الله ، ويبلغون نبأه إلى العالمين .. فهم في نهاية الشاهد ، وبداية الغائب ، يعيشون في الدنيا كأنهم ليسوا منها أهلها ، وهم وفد الآخرة في لباس من ليسوا من سكانها ..
إنه الإجلال والاحترام والتعظيم والتوقير .. وتقرير العصمة للأنبياء والمرسلين ..
* * *

وإذا كان الشيء يُظهر حسنَه الضدُّ .. وبضدها تتمايز الأشياءُ .. فإن المقارنة بين صورة أعلام الأنبياء ومشاهير المرسلين في كل من القرآن الكريم .. وفي أسفار العهد القديم هي الشاهد على صدق هذا الذي نقول :
ـ العصمة والتعظيم والتكريم في القرآن للأنبياء والمرسلين ..
ـ والإساءة ، والإهانة ، والازدراء ؛ لهؤلاء الأنبياء والمرسلين ، في أسفار العهد القديم ..
ومن ثم الإفضاء إلى نبعَيْن ينضحان موقفين مختلفين كلَّ الاختلاف من هؤلاء الأنبياء والمرسلين ..

****

أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام

ـ صورته .. وصفاته في القرآن الكريم

يقدم القرآن الكريم أبا الأنبياء ، الخليل إبراهيم ، عليه السلام ، في الصورة المثلى التي التزمها القرآن إزاء الذين اصطفاهم الله .. وصنعهم على عينه .. وحملهم أمانة بلاغ كلماته .. والجهاد في سبيل هداية الناس ، إلى صراط الله المستقيم .. فهو :
1 ـ أبو الأنبياء :
{ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (87)} الأنعام .

{ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب} الحديد : 26
2 ـ وأمة .. وإمام :
{ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120)} النحل .
{ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)} البقرة .
3 ـ والصالح .. المصطفى في الدنيا والآخرة :
{ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130)} البقرة .
4 ـ والأواه .. الحليم .. المنيب :
{إن إبراهيم لأواه حليم} التوبة : 114
{إن إبراهيم لأواه منيب} هود : 75
5 ـ والصديق :
{واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا} مريم : 41
6 ـ وخليل الرحمن :
{ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا} النساء : 125
7 ـ الأسوة الحسنة :
{ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} الممتحنة : 4
8 ـ والناظر في الملكوت ليقيم الدليل العقلي على التوحيد :
{وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين} الأنعام : 75
{وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم} ، البقرة : 260
9 ـ ومحطم الأصنام :
{.. وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين * فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون} الأنبياء : 57 ، 58
10 ـ ومطهر البيت ورافع قواعده :
{وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود} البقرة : 125

11 ـ والممتثل لأمر الله أن يذبح ولده الوحيد :
{ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (99) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107)} الأنبياء
* * *

نعم .. هذه بعض صفات أبي الأنبياء ـ خليل الرحمن ـ إبراهيم ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم ..
فما هي صورته في أسفار العهد القديم ؟؟

صورة أبي الأنبياء في العهد القديم :
في أسفار العهد القديم ـ التي كتبها أحبار اليهود وحاخاماتهم بأيديهم في عهود السبي ، التي سيطرت فيها على حياتهم العقد النفسية ـ ثم قالوا إنها من عند الله ـ {فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون} البقرة : 79
في هذه الأسفار اتهام لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ـ بالكذب .. والدّياثة .. حرصًا على الحياة .. وطمعًا في عرَض الدنيا ومتاعها ؟
فهو ـ في الأسفار ـ :
• يخطئ في تقدير أخلاق المصريين ـ وهو داخل إلى بلادهم ـ ..

• ويتواطأ مع زوجه سارة على الكذب .. وعلى الدّياثة .. وإسلام زوجه الجميلة لمن يعاشرها في الحرام .. طمعًا في بقائه حيًّا .. وطمعًا في الغنم والبقر والحمير والجمال والعبيد يعطيها له فرعون مصر مقابل زوجته الجميلة !!
• كما تصور هذه الأسفار فرعون في الصورة المثلى ، حتى لكأنه هو النبي ، وليس إبراهيم !!
ـ فلقد عاتب فرعون إبراهيم على كذبه ..
ـ وترك له زوجه ..
ـ وترك له الثروة التي أخذها مقابل زوجه !
* كما تصور هذه الأسفار إبراهيم ـ عليه السلام ـ في الصورة المهينة :
ـ فبعد الكذب .. وخلق الدياثة .. ها هو يعود ـ من مصر ـ بزوجة .. وبالسحت الذي أخذه مقابل كذبه .. وتفريطه فيها !!
* نعم .. هكذا صورت أسفار العهد القديم أبا الأنبياء ـ إبراهيم ـ الخليل ـ عليه السلام ..
فلقد جاء في سفر التكوين 12 : 10 - 20 - :
"وحدث جوع في الأرض ـ [أرض كنعان] ـ فانحدر إبرام إلى مصر ليتغرب هناك .. لأن الجوع في الأرض كان شديدًا .
وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته : إني قد علمت أنك امرأة ، حسنة المنظر ، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون : هذه امرأته . فيقتلونني ويستبقونك . قولي إنك أختي . ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك .
فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوْا المرأة أنها حسنة جدًا .. ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون .
فأُخذت المرأة إلى بيت فرعون . فصنع إلى إبرام خيرا بسببها . وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال .
فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراى امرأة أبرام .
فدعا فرعون أبرام وقال : ما هذا الذي صنعت بي . ولماذا لم تخبرني أنها امرأتك ؟ ! ولماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي ؟!
والآن هي ذي امرأتك . خذها واذهب . فأوصى عليه فرعون رجالاً فشيعوه وامرأته وكل ما كان له"
* * *

نعم .. إنهما صورتان ـ صورة قرآنية .. وصورة توراتية ـ لأبي الأنبياء إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ تعكسان فلسفتين وثقافتين في النظر إلى الأنبياء والمرسلين .. ورموز النبوات والرسالات !!

****

نبي الله لوط عليه السلام

صورته وصفاته في القرآن الكريم

يصف القرآن الكريم نبي الله لوطًا ـ عليه السلام ـ بأنه :
1 ـ العبد الصالح .. صاحب العلم والحكمة والحكم :
{ولوطا آتيناه حُكما وعلما..} الأنبياء : 74
{وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين} الأنبياء : 75
2 ـ والناهي عن الفحشاء والمنكر :
{ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين} الأعراف : 80
3 ـ والمتطهر :
{وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون} ـ الأعراف : 82
4 ـ والذي نجاه الله :

{.. لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين} العنكبوت : 32
* * *

تلك هي صفات نبي الله لوط ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم .. إنه : العبد الصالح .. صاحب العلم والحكمة .. والناهي عن الفحشاء والمنكر .. والمتطهر من الذنوب والآثام التي كان يرتكبها قومه ـ في سدوم ـ .. والذي نجاه الله وأهله من العذاب الذي أنزله بسدوم وأهلها ..
فما هي صورة هذا النبي الكريم ـ ابن أخ أبي الأنبياء إبراهيم ـ عليه السلام ـ .. ما هي صورته وصفاته في أسفار العهد القديم ؟

صورة لوط في العهد القديم

يفتري كَتَبَةُ أسفار العهد القديم ـ الذين بدلوا كلام الله .. وحرفوه عن مواضعه ـ على نبي الله لوط ـ عليه السلام ـ فيزعمون أنه قد سكِر .. وزنى بابنتيْه
فبعد ..
• اشتراك لوط مع إبراهيم في الرحلة إلى مصر
• وبعد شهوده ـ كما زعموا ـ قبّحهم الله ـ كذب عمه إبراهيم .. ودياثته ، من أجل الغنم والحمير والجمال والعبيد !!
• وبعد أن نال لوط ما نال ـ هو الآخر ـ من غنم المصريين وحميرهم ـ تكون تكوين 13 : 5
ها هو يقع في السكر والزنا بتدبير ابنتيْه ، اللتين نجاهما الله بمعجزة من الدمار الذي حدث لسدوم !
فلقد جاء في سفر التكوين 9 : 30 ـ 38
"وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه . لأنه خاف أن يسكن في صوغر . فسكن في المغارة هو وابنتاه ..
وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض . هلمّ نسقي أبانا خمرًا ونضطجع معه . فنحيي من أبينا نسلاً .
فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة . ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها .. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها .
وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة : إني قد اضطجعت البارحة مع أبي . نسقيه خمرًا الليلة أيضًا فادخلي واضطجعي معه . فنحيي من أبينا نسلاً ..
فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضًا .. وقامت الصغيرة واضطجعت معه .. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها .
فحبلت ابنتا لوط من أبيهما . فولدت البكر ابنًا ودعت اسمه موآب . وهو أب الموآبيين إلى اليوم .. والصغيرة أيضًا ولدت ابنًا ودعت اسمه بِن عمى . وهو أبو بني عمون إلى اليوم"
* * *
وهنا نسأل :
ـ هل هذا ممكن عقلاً ؟! .. فضلاً عن أن يكون جائزًا دينًا .. وبالنسبة للأنبياء ؟! هل يمكن أن يمارس السكران الجنس دون أن يدري ؟ !
أم هي خيالات ثقافة الدياثة ، التي تشرع لزنا المحارم .. والتي دنست وتدنس سيرة الأنبياء والمرسلين ؟!
وهل ينجب "الشيخ" لوط ؟ ! .. وقصة إبراهيم "الشيخ" تقول بفوات "الشيخ" زمن الإنجاب .. {قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب} هود : 72
وكيف لم يسأل لوط ـ الذي لم يشعر بجماعه لابنتيه ـ .. كيف لم يسألهما : من أين جاءهما الحمل والإنجاب ؟ !
* * *
لكنها ثقافة الدياثة .. ونزع العصمة عن الأنبياء والمرسلين .. تلك التي سطّرها أحبار اليهود في أسفار العهد القديم .. فوضعوا بذلك لبنة قبيحة في ثقافة الازدراء للأنبياء والمرسلين !!

****

إسحاق ويعقوب عليهما السلام

ـ صورتهما في القرآن الكريم

يصور القرآن الكريم نبي الله إسحاق ـ عليه السلام ـ في صورة :
1 ـ النبي الصالح : {وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين} الصافات : 112
2 ـ والمبارك : {وباركنا عليه وعلى إسحاق} الصافات : 113
3 ـ والذي جعله من المصطفَيْن الأخيار :
{ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (45) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (46) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (47)} ص .
* * *

كما يصور القرآن الكريم نبي الله يعقوب ـ بن إسحاق ـ عليهما السلام ـ في صورة :
1 ـ أحد الخلصاء المصطفين الأخيار :
{وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (45) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (46) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (47)} ص
2 ـ وصاحب الصبر الجميل ، المستعين بالله : {قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون} يوسف : 18
3 ـ والذي ابيضت عيناه من الحزن : {وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم} يوسف : 84
4 ـ والذي لا ييأس من روح الله :
{يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون} ـ يوسف : 87
5 ـ والموصي بالتوحيد والإسلام :
{ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133)} البقرة .
تلك هي صورة هذين النبيين الكريمين ـ إسحاق ويعقوب ـ عليهما السلام ـ في القرآن الكريم ..
فماذا عن صورتهما في العهد القديم ؟
صورتهما في العقد القديم
لقد صورت أسفار العهد القديم النبوة ـ من خلال صورة وسيرة إسحاق ويعقوب عليهما السلام ـ مُنْبتَّةِ الصلة بالاصطفاء الإلهي ـ وصورت البركة منقطعة الصلة بالهبات الإلهية والعدل الإلهي ..
وادعت ـ هذه الأسفار ـ أن الحصول على النبوة والبركة إنما يتم بالغش والاحتيال .. وأن شئونها إنما تدار كما تدار شئون عصابات اللصوص ، بالمكر والكذب حتى على الرب !! وبالسرقة .. والغفلة .. وكيد النساء !!
وعن هذه الصورة الزائفة الكاذبة المزرية ، يقول العهد القديم ـ في سفر التكوين 27 : 1 ـ 45 :
"وحدث لما شاخ إسحاق وكلّت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له : يا بني ، فقال له : ها أنا ذا .. فقال : إني قد شخت ولست أعرف يوم وفاتي . فالآن خذ عدتك ؛ جعبتك وقوسَك واخرج إلى البرية وتصيّد لي صيدًا .. واصنع لي أطعمة كما أحب ، وائتني بها لآكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت .
وكانت رفقة سامعة إذ تكلم إسحاق مع عيسو ابنه .
فذهب عيسو إلى البرية كي يصطادَ صيدًا ليأتيَ به . وأما رفقة فكلّمت يعقوب ابنها قائلة : إني قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلاً : ائتني بصيد واصنع لي أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتي . فالآن يا ابني اسمع لقولي في ما أنا آمرك به . اذهب إلى الغنم وخذ لي من هناك جديين جيّدين من المعزى . فأصنعهما أطعمة لأبيك كما يحب . فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته .
فقال يعقوب لرفقة أمِّه : هو ذا عيسو أخي رجل أشعَر وأنا رجل أملس . ربما يجسّني أبي فأكون في عينيه كمتهاون وأجلب على نفسي لعنة لا بركة .
فقالت له أمّه : لعنتك عليّ يا ابني . اسمع لقولي فقط واذهب خذ لي . فذهب وأخذ وأحضر لأمه . فصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب .

وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت وألبست يعقوب ابنَها الأصغر .
وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جديي المعزى . وأعطت الأطعمة والخبز التي صنعت في يد يعقوب ابنها . فدخل إلى أبيه وقال يا أبي . فقال ها أنا ذا . من أنت يا ابني ؟ فقال يعقوب لأبيه : أنا عيسو بكرك . قد فعلت كما كلمتني . قم اجلس وكُلْ من صيدي لكي تباركني نفسُك . فقال إسحق لابنه : ما هذا الذي أسرعت لتجد يا ابني . فقال : إن الرب إلهك قد يسّر لي . فقال إسحق ليعقوب : تقدم لأجسّك يا ابني . أأنت هو ابني عيسو أم لا ؟
فتقدم يعقوب إلى إسحق أبيه . فجسّه وقال : الصوت صوت يعقوب ولكنّ اليدين يدا عيسو . ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيديْ عيسو أخيه . فباركه . وقال : هل أنت هو ابني عيسو ؟ فقال أنا هو . فقال قدم لي لآكل من صيد ابني حتى تباركك نفسي . فقدّم له فأكل . وأحضر له خمرًا فشرب .
فقال له إسحق أبوه : تقدم وقبّلني يا ابني . فتقدم وقبّله . فشم رائحة ثيابه وباركه . وقال انظر . رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب . فليعطِك الله من ندى السماء . ومن دسم الأرض . وكثرةَ حنطةٍ وخمر . ليُستعبد لك شعوب . وتسجد لك قبائل . كن سيدًا لإخوتك . وليسجد لك بنو أمك . ليكن لاعنوك ملعونين . ومباركوك مباركين .
وحدث عندما فرغ إسحق من بركة يعقوب ، ويعقوب قد خرج من لدن إسحق أبيه ـ أن عيسو أخاه أتى من صيده . فصنع هو أيضًا أطعمة ودخل بها إلى أبيه وقال لأبيه : ليقم أبي ويأكل من صيد ابنه حتى تباركني نفسُك . فقال له إسحق أبوه : من أنت . فقال : أنا ابنك بكرك عيسو . فارتعد إسحق ارتعادًا عظيمًا جدًا . وقال : فمن هو الذي اصطاد صيدًا وأتى به إليّ فأكلت من الكل قبل أن تجيء وباركته . نعم ويكون مباركًا .
فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومُرة جدًا . وقال لأبيه : باركني أنا أيضًا يا أبي . فقال قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك . فقال : إلا أن اسمه دعي يعقوب . فقد تعقبني الآن مرتين . أخذ بكوريتي وهو ذا الآن قد أخذ بركتي . ثم قال : أما أبقيت لي بركة . فأجاب إسحق وقال لعيسو : إني قد جعلته سيدًا لك ودفعت إليه جميع إخوته عبيدًا وعضدته بحنطة وخمر . فماذا أصنع إليك يا ابني ؟
فقال عيسو لأبيه : ألك بركة واحدة فقط يا أبي ؟ باركني أنا أيضًا يا أبي . ورفع عيسو صوته وبكى . فأجاب إسحق أبوه وقال له : هو ذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك . وبلا ندى السماء من فوق . وبسيفك تعيش . ولأخيك تُستعبد . ولكن يكون حينما تجمح أنك تكسر نيره عن عنقك .
فحقد عيسو على يعقوب من أجل البركة التي باركه بها أبوه . وقال عيسو في قلبه : قربت أيام مناحة أبي . فأقتل يعقوب أخي .
فأخبرت رفقة بكلام عيسو ابنها الأكبر . فأرسلت ودعت يعقوب ابنها الأصغر وقالت له : هو ذا عيسو أخوك متسلّ من جهتك بأنه يقتلك . فالآن يا ابني اسمع لقولي وقم اهرب إلى أخي لابان إلى حاران . وأقِم عنده أيامًا قليلة حتى يرتد سخط أخيك . حتى يرتد غضب أخيك عنك وينسى ما صنعت به . ثم أُرسِل فآخذك من هناك .

* * *

هكذا صور العهد القديم إسحاق ويعقوب ـ عليهما السلام ـ .. فأسس ـ بهذا التصوير الكاذب والمزري ـ لثقافة ازدراء الأنبياء والمرسلين .. وإهانة الرموز والمقدسات ، التي سادت في اليهودية والنصرانية .. سواء في دوائر المتدينين أو العلمانيين ..
لقد صورت ـ هذه الأسفار شئون النبوة ، والبركة ، كما لو كانتا تداران بالغش والزيف والكذب والخداع والغفلة و"كيد النساء" .. بدلاً من صورتها الحقيقية : صورة الاصطفاء الإلهي .. والعصمة عن كل ما ينفر أو يشين ..
ثم جاء تعميم الذين "تربَّوْا" على هذه الثقافة المغشوشة ، تلك الصورة الزائفة الكريهة على سائر الأنباء والمرسلين .. فكانت إساءتهم إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد بن عبد الله ، عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين الصلاة والسلام.

****

نبي الله داود عليه السلام

صورته في القرآن الكريم

يصور القرآن الكريم نبي الله داود ـ عليه السلام ـ في صورة مثلى ولائقةٍ بمن اصطفاه الله فجمع له المُلك مع النبوة والرسالة .. فهو :
1 ـ الخليفة : {يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض} ص : 26
2 ـ وصاحب الزبور : {وآتينا داود زبورا} الإسراء : 55
3 ـ والأواب : {واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب} ص: 17
4 ـ وصاحب المُلك والحكمة والعلم وفصل الخطاب :
{وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء} البقرة : 251
{وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب} ص: 20
5 ـ والذي سبحت معه الطير والجبال :
{إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (19)} ص
6ـ وصاحب الصناعات الثقيلة الذي يأكل من عمل يديه :
{وألنا له الحديد * أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير} سبأ : 10 ، 11
7 ـ والمغفور له .. صاحب الزلفى وحسن المآب : {فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب} ص: 25
* * *

تلك هي صورة هذا النبي الكريم ـ داود عليه السلام ـ في القرآن :
الخليفة .. الذي أنزل الله عليه الوحي في الزبور .. والأواب .. صاحب الملك والحكمة والعلم وفصل الخطاب .. وصاحب الصوت الجميل ، الذي أوَّبت معه وسبّحت الطيرُ والجبال .. والذي ألان الله له الحديد .. فكان مع الملك ـ يأكل من عمل يديه .. والذي غفر الله له ـ بعد الامتحان والابتلاء ـ فجعل له ـ عنده الزلفى وحسن المآب ..
فماذا عن صورة هذا النبي الكريم في أسفار العهد القديم .. المؤسسة لثقافة النصارى واليهود ؟؟
صورته في العهد القديم
في العهد القديم ، يصورون داود عليه السلام ، في صورة :
ـ الفاسق : الذي يتلصص على عوْرات الناس ومحارمِهم !
ـ والزاني بزوجة أوريا الحثي !
ـ والمتآمر للتخلص من الزوج .. ولنسبة ابنه ـ من الزنا ـ إلى الزوج المسكين !
ـ والقاتل ـ بالمكر والتدبير ـ للزوج :
ـ وذلك حتى يضم الزوجة ـ التي زنى بها ـ إلى حريمه ، ونسائه الكثيرات!!
* * *

إي والله .. هذه هي صورة نبي الله داود ـ عليه السلام ـ في أسفار العهد القديم .. والتي أثمرت ثقافة الازدراء للأنبياء والمرسلين لدى النصارى واليهود ، الذين "تربّوا" على أسفار هذا العهد القديم !!
فلقد جاء في سفر صموئيل الثاني : 11 : 1 - 26
"وكان عند تمام السنة، في وقت خروج الملوك، أن داود أرسل يوآب وعبيده معه وجميع إسرائيل، فأخرجوا بني عمُّون، وحاصروا ربَّة. وأما داود، فأقام في أورشليم.
وكان في وقت المساء، أن داود قام عن سريره، وتمشى على سطح بيت المُلك، فرأى من على السطح امرأةً تستحم. وكانت المرأةُ جميلة المنظر جدًا. فأرسل داود، وسأل عن المرأة ، فقال واحدٌ: أليست هذه بثشبع بنت أليعام، امرأة أوريا الحثي؟ فأرسل داود رسلاً، وأخذها ، فدخلت إليه ، فاضطجع معها .. ثم رجعت إلى بيتها. وحَبلت المرأة ، فأرسلت وأخبرت داود ، وقالت: إني حُبلى.
فأرسل داود إلى يوآب ، يقول : أرسل إليّ يوريا الحثى . فأرسل يوآب أوريا إلى داود . فأتى أويا إليه ، فسأله داود عن سلامة يوآب، وسلامة الشعب، ونجاح الحرب.
وقال داود لأوريا: انزل إلى بيتك، واغسل رجليك. فخرج أوريا من بيت الملك، وخرجت وراءَه حِصة من عند الملك.

ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده، ولم ينزل إلى بيته . فأخبروا داود قائلين : لم ينزل أوريا إلى بيته . فقال داود لأوريا : أما جئت من السفر ؟ فلماذا لم تنزل إلى بيتك ؟
فقال أوريا لداود : إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام ، وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجهِ الصحراء ، وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي؟
وَحَيَاتِكَ وحيوة نفسك ، لا أفعل هذا الأمر.
فقال داود لأوريا: أقم هنا اليوم أيضًا، وغدًا أطلقك. فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده ..
ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره ، وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيدة وإلى بيته لم ينزل.
وفي الصباح، كتب داود مكتوبًا إلى يوآب، وأرسله بيد أوريا. وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوريا في وجهِ الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه، فيُضرب ويموت.
وكان في محاصرة يوآب المدينة، أنه جعل أوريا في الموضِع الذي علِم أن رجال البأس فيه. فخرج رجال المدينة، وحاربوا يوآب، فسقط بعض الشعب من عبيد داود، ومات أوريا الحثي أيضًا. فأرسل يوآب، وأخبر داود بجميع أمور الحرب .. وقالوا له: قد مات عبدك أوريا الحثي أيضًا.
فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها، ندبت بعلها.
ولما مضت المناحة، أرسل داود، وضمها إلى بيته، وصارت له امرأةً، وولدت له ابنًا.
* * *
هكذا صورت أسفار العهد القديم نبيَّ الله داود ـ عليه السلام ـ في صورة الفاسق .. المتلصص على الأعراض والحرمات .. والزاني .. والمتآمر على قتل الزوج المخلِص المسكين .. والذي ضم المرأة التي زنى بها إلى حريمه .. وأنجب منها ولد زنى ..
ويُكمل إنجيل متى 1 : 6 الصورة البائسة ، فيحدثُنا عن أن نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ هو من نسل هذه المرأة الزانية ! .. "ويسي ولدَ داود الملك ، وداود ولدَ سليمان من التي لأوريا" ..
أي أن الأنبياء والمرسلين ـ في هذه الأسفار .. وفي هذه الثقافة ـ هم زناة .. ومن نسل الزناة !!
تلك هي الصورة ـ المفتراة .. والمزرية ـ لنبي الله داود ـ عليه السلام ـ في أسفار العهد القديم ..
* * *
بل إن ثقافة الازدراء هذه لم تقف عند النبي داود ـ عليه السلام ـ وإنما تعدته ـ في هذه الأسفار التي كتبوها بأيديهم ، ثم كذبوا فنسبوها إلى الله ـ تعدى هذا الازدراء داود إلى صورة الانتقام الإلهي منه ..
فعلى حين قال القرآن الكريم : إن الله قد غفر لداود ، فكان صاحب الزلفى وحسن المآب {فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب} ص : 25 .. نجد أسفار العهد القديم تصور انتقام الله من داود ، على النحو الذي يسيء إلى صورة الله ، وصفاته جل وعلا .. فداود ـ بزعمهم ـ قد زنى في السر .. وها هو الله ـ بزعمهم ـ يعاقبه بالزنا ، بنسائه في العلن ، وعلى رؤوس الأشهاد !!
وداود ـ بزعمهم ـ قد زنى بامرأة واحدة .. وها هو الله ـ بزعمهم ـ يعاقبه بالزنا بجميع نسائه أمام الجميع !
نعم ! .. هكذا طال الازدراء في العهد القديم .. وفي الثقافة النصرانية واليهودية ـ حتى ذات الله ـ تعالى سبحانه عما يصفون ..
ففي العهد القديم ـ سفر صموئيل الثاني 12 : 9 ـ 12 نقرأ :
"قال الرب إله إسرائيل ـ [لداود] ـ :
لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه . قد قتلت أوريا الحثّي بالسيف وأخذت امرأته لك امرأةً . وإياه قتلتَ بسيف بني عمون .
والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد لأنك احتقرتني وأخذت امرأة أوريا الحثّي لتكون لك امرأة .
ها أنا ذا أقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهنّ لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس .. لأنك أنت فعلت بالسرّ وأنا أفعل هذا الأمر قدّام جميع إسرائيل وقدام الشمس .
ويُكمل هذا السفر ـ سفر صموئل الثاني الصورة المفتراة ، عندما يقول : إن نبي الله سليمان إنما وُلد من أبٍ زانٍ وأمٍّ زانية ..
"ودخل داود ـ [إلى بتشبع] ـ امرأته ـ [امرأة أوريا الحثى] واضطجع معها ، فولدت ابنًا ، فدعا اسمه سليمان.."
* * *
تلك هي الصورة ـ اليهودية النصرانية ـ المفتراة ـ لنبي الله داود ـ عليه السلام ، والتي زيَّفها الأحبار والحاخامات .. وصنعوا منها ثقافة مغشوشة أثمرت الازدراء الذي ميز نظرة اليهود والنصارى إلى الأنبياء والمرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ..

وإذا كان القرآن الكريم يعبّر عن عدالة الله ـ سبحانه وتعالى ـ التي لا تزر فيها وازرة وزر أخرى : {ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى} الأنعام : 164
فإن هذه الأسفار ـ بما زعمت من عقاب الله لكل بيت داود ـ قد شرّعت للعقاب الجماعي ، الذي يمارسه طغاة النصارى واليهود في هذه اللحظات !!

****

نبي الله سليمان عليه السلام

ـ صورته في الكتاب المقدس

في العهد القديم دعوى خبيثة ، تزعم أن داود ـ عليه السلام ـ قد أنجب ابنه سليمان من المرأة التي سبق وزنى بها ـ امرأة أوريا الحثي ـ .. فهو ـ سليمان ـ في هذا الكتاب المقدس" .. وفي الثقافة التي كونها هذا الكتاب ابن امرأة زانية .. وأب زان !! .. ومن ثم فذريتهما من الأنبياء والمرسلين هي سلالة الزناة !!
ولا تقف هذه "المدرسة" ـ مدرسة ثقافة ازدراء الأنبياء والمرسلين ـ عند هذا الحد ـ في أمر نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ وإنما تذهب فتصعد على سلم الازدراء إلى الحد الذي تصف فيه نبي الله سليمان بـ :
ـ الخروج عن أوامر الرب .
ـ وبأنه "زير نساء" !! .. وصاحب قلب خاضع للنساء الوثنيات !
ـ وأنه ـ وهو النبي والرسول ـ عابد للأوثان !
ـ والباني النُّصُب لعبادة الأوثان من دون الله !
تلك هي الصورة التي سطرها أحبار اليهود وحاخاماتهم ـ في العهد القديم ـ لنبي الله سليمان ـ عليه السلام ..
فلقد جاء في سفر الملوك الأول 11 : 1 - 11
"وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون، موآبيات وعمونيات وادوميات وصيدونيات وحثّيات .. ومن الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يُميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة.
وكانت له سبع مائة من النساء السيدات وثلاث مائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه . وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أَمَلْنَ قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء عشتورث إلاهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين .
وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه . حينئذ بنَى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم . ولمولك رجس بنِي عمون . وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كنّ يوقدن ويذبحن لآلهتهنّ .
فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين . وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب .
فقال الرب لسليمان: من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزق المملكة عنك تمزيقًا وأعطيها لعبدك".

* * *

تلك هي صورة هذا النبي الكريم ـ سليمان .. عليه السلام ـ التي افتراها أحبار اليهود وحاخاماتهم .. والتي سطّروها في العهد القديم .. ونسبوها ـ زورًا وبهتانًا ـ إلى رب العالمين ..
وهي الصورة التي تُسهم إسهامًا كبيرًا في تكوين "ثقافة الازدراء" للأنبياء والمرسلين .. تلك الثقافة التي "تربى" عليها المؤمنون بقداسة هذا الكتاب من النصارى واليهود ..

****

عموم بلوى الازدراء للأنبياء والمرسلين

وكأنما استقل الذين كتبوا هذا الافتراء ـ الذي نسبوه إلى الله ـ .. كأنما استقلوا هذا الازدراء الذي ألصقوه بالأنبياء والمرسلين .. والذي ادّعَوْا فيه أن سليمان والأنبياء من ذريته إنما هم منحدرون من نسل الزناة .. فذهبوا على طريق الافتراء والازدراء إلى حيث زعموا أن داود ـ أيضًا ـ قد انحدر من نسل الزنا والزناة !!

ففي سفر التكوين 38 : 1 ـ 29 حديث عن نبي الله يهوذا بن يعقوب ـ عليهما السلام ـ .. وفي هذا الحديث يدعون على يهوذا أنه قد زنى بابنة رجل كنعاني اسمه يشوع .. وأنه ـ أي يهوذا ـ قد زنى ـ أيضًا ـ بزوجة ابنه "عير" ـ واسمها "ثامار" .. وأن "ثامار" ـ الزانية ـ هذه قد ولدت ـ من السفاح ـ "فارص" و "زارح" .. ومن "فارص" هذا يأتي نسب داود .. وسليمان .. وحتى المسيح ـ عليهم السلام ـ !! .. لأن مريم ـ أم المسيح ـ هي من نسل داود من سِبط يهوذا !! (27)

هكذا صوَّر العهد القديم ـ ومن ثم صوّرت الثقافة الدينية لليهود والنصارى ـ هؤلاء الأنبياء المعصومين المصطفَيْن الأخيار .. صورتهم في صورة الزناة وأبناء الزناة!!

وبنص ما جاء في سفر التكوين 38 : 1 ـ 29

"وحدث في ذلك الزمان أن يهوذا نزل من عند إخوته ومال إلى رجل عدلاميّ اسمه حيرة . ونظر يهوذا هناك ابنة رجل كنعاني اسمه شوع ، فأخذها ودخل عليها ، فحبلت وولدت ابنا ودعا اسمه عيرا .

وكان عير ، بكر يهوذا ، شريرًا في عيني الرب . فأماته الرب . فقال يهوذا لثامار كنته : اقعدي أرملة في بيت أبيك .. فمضت ثامار وقعدت في بيت أبيها .

ولما طال الزمان ماتت ابنة شوع امرأة يهوذا . ثم تعزّى يهوذا فصعد إلى جزاز غنمه إلى تمنة هو وحيرة صاحبه العدلامي . فأخبرت ثامار وقيل لها هوذا حموك صاعد إلى تمنة ليجزّ غنمه . فخلعت عنها ثياب ترمُّلِها وتغطت ببرقع وتلففت وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تمنة . فنظرها يهوذا وحسبها زانية . لأنها كانت قد غطت وجهها .

فمال إليها على الطريق وقال : هاتي أدخل عليك . لأنه لم يعلم أنها كنته .. فقالت : ماذا تعطيني لكي تدخل عليّ ؟

قال : إني أرسل جدي معزى من الغنم . فقالت : خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك . فأعطاها ودخل عليها ، فحبلت منه .

ولما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا وقيل له قد زنت ثامار كنتك . وها هي حبلى أيضًا من الزنا . فقال يهوذا أخرجوها فتحرق .

أما هي فلما أُخرجت أرسلت إلى حميها قائلة : من الرجل الذي هذه له ، أنا حبلى ؟ وقالت : حقّق ، لمن الخاتَم والعصابة والعصا هذه . فتحققها يهوذا .

وفي وقت ولادتها إذا في بطنها توأمان . فارص .. وزارح" .

* * *

هكذا يحكي العهد القديم ـ قبّح الله كاتبيه ـ اقترافَ يهوذا بن يعقوب ـ عليهما السلام ـ للزنا ـ وإنجابه ـ من الزنا ـ لفارص وزارح ..

ويأتي العهد الجديد ، ليسير على ذات الدرب ، فيحدثنا عن أن أنبياء الله داود .. وسليمان .. والمسيح ـ هم من نسل فارص ـ أي من نسل الزنا !!

ففي إنجيل متى 1 : 16

"ويعقوب ـ [ن متان] ـ ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح" .. كما أن مريم ، أم المسيح ـ عليهما السلام ـ هي من نسل داود من سبط يهوذا ..

حتى لكأن شريعة العهد القديم ـ رغم النهي عن الزنا في الوصايا العشر ، التي بقيت من كلمات الله ـ هي الشريعة التي تشرِّع للزنا ، حتى في أوساط الأنبياء والمرسلين !!

بل لقد ورد في سفر هوشع [780 ـ 730 ق . م] ـ هو أحد أنبياء بني إسرائيل ـ أمر الرب له ـ نعم "أمر" ـ بأن يتخذ له امرأة زنى وأولاد زنى .. فلقد انتشر الزنا .. وبدلاً من أن يدعوَ النبيَّ هوشع إلى الإقلاع عن هذه الفاحشة .. يأمره الرب ـ حسب افتراءات العهد القديم على رب العالمين ـ بأن يتخذ له امرأة زنى لينجب منها أولاد زنى !!

ففي سفر هوشع 1 : 2 :

"أول ما كلم الرب هوشع ـ [بن بئيري] ـ قال الرب لهوشع :

اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب" .
فبدلاً من الأمر بالإصلاح والعفة .. يأمر الرب ـ حاشاه ـ بالزنا !!
وهكذا أسست أسفار العهد القديم ـ عند الذين قدسوها .. من اليهود والنصارى ـ لثقافة ازدراء الأنبياء والمرسلين ، عندما نفت عنهم العصمة .. وجعلت الكثيرين منهم زناة وأبناء زناة!!
حتى جاء ـ من الذين "تربَّوْا" على هذه الثقافة ـ من عمَّمَ هذه البلوى على رسول الإسلام .. عليه وعلى كل الأنبياء والمرسلين الصلاةُ والسلام !

****

مصدران .. ومدرستان .. ونظرتان

ومع التحريم الأبدي ـ في شريعة موسى ، عليه السلام ـ للخمر .. والنص على ذلك في سفر اللاويين 10 : 8
"وكلم الرب هارون قائلاً : خمرًا ومسكرًا لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع لكي لا تموتوا . فرضًا دهريًّا في أجيالكم" ..
مع ذلك تأتي الكتب "المقدسة" فتتحدث عن شرب أنبياء بني إسرائيل ـ بمن فيهم المسيح عليه السلام ـ للخمر !!
ففي إنجيل يوحنا 2 : 7 ـ 11 : المسيح يصنع الخمر .. وصناعة الخمر هي بدايات معجزاته !
"هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل ، وأظهر مجده فآمن به تلاميذه" ! كما جاء في إنجيل متى 11 : 9 ـ ويوحنا 7 : 34
"هوذا ابن الإنسان يأكل ويشرب . فيقولون : هوذا إنسان أكول وشريب خمر"!

***

هكذا .. وجدنا ـ ونجد ـ أنفسنا ـ في الفكر الديني لليهودية والنصرانية والإسلام ـ أمام مدرستين .. وفلسفتين .. ونظرتين .. وثقافتين في التعامل مع الأنبياء والمرسلين ، ومع الرموز والمقدسات ..
1 ـ مدرسة القرآن الكريم :
التي جعلت العصمة للأنبياء والمرسلين عن كل ما ينفِّر أو يشين .. جعلت ذلك عقيدة من ثوابت عقائد الإسلام .. حتى أنك لا تجد ـ ولن تجد ـ أحدًا من أبناء هذه المدرسة يسب نبيًا .. أو يزدري رسولاً .. أو يتطاول على أي رمز من رموز الشرائع والديانات ..
2 ـ ومدرسة العهد القديم :
تلك التي "تربى" أهلُها على الثقافة التي امتلأت بها أسفار هذا الكتاب ، والتي تعلموا منها وألفوا ازدراء الأنبياء والمرسلين .. بتصويرهم في صورة الفسقة .. الفجرة .. الكذبة .. الزناة .. المتلصصين على العورات والأعراض والحرمات .. والمتآمرين .. القتلة للأنفس التي حرم الله .. إلخ .. إلخ ..
ولأن أبناء هذه "المدرسة" قد "تربَّوْا" على أن هذه هي صورة أنبيائهم ـ الذين يؤمنون بهم .. والذين تلقَّوْا عنهم الشريعة والتعاليم ـ .. تلك هي صورتهم في كتابهم "المقدس" .. فليس من الغريب ـ في نظرهم ـ أن يعمِّموا هذه الصورة من الازدراء والافتراء والسُّباب ، على النبي الذي لا يؤمنون به .. محمدٍ بن عبد الله ـ عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين الصلاةُ والسلام ..
هذا هو السّر .. وتلك هي الإجابة ـ الموضوعية الموثقة ـ على السؤال :
ـ لماذا يسيء غيرُ المسلمين إلى رسول الإسلام ؟! .. في حين أنك لن تجد مسلمًا واحدًا تراوده أو تخطر بباله نيةُ الإساءة إلى أي نبي أو رسول من الأنبياء والمرسلين ؟ !
إنهما مدرستان .. لكل واحدة منهما منبعُها .. وفلسفتها .. ونظرتها .. وثقافتها .. وموقفها .. وإذا كان :
وكل إناءٍ بالذي فيه ينضح والعيب من أهله لا يستغرب
فإن الانتصار للقرآن .. وللنبي الأمي الذي جاء به .. ولشريعة الإسلام .. وثقافته .. ليس انتصارًا ـ فقط ـ لنبي الإسلام .. وإنما هو انتصار لكل النبوات والرسالات .. ولجميع الأنبياء والمرسلين .. ولثقافة العصمة والتنزيه ، والتعظيم لكل

رموز الشرائع والديانات التي أوحاها الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلى جميع الأنبياء والمرسلين .. من آدم إلى محمد ـ عليهم الصلوات والتسليمات ..
وصدق الله العظيم :
{آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير} البقرة : 285

****

النقد الداخلي لمصادر الازدراء

لكن .. إذا كانت أسفار العهد القديم قد كوّنت "ثقافة الازدراء والإساءة" إلى الأنبياء والمرسلين .. وإذا كانت هذه الثقافة قد شاعت لدى الذين "قدّسوا" هذه الأسفار ، بتعميمٍ وإطلاق .. فإن هناك نصارى ويهودًا قد أعملوا عقولهم في هذه الثقافة ، وفي منابعها ، فاتخذوا موقفًا نقديًّا من هذه الأسفار ..

• ففي كتابٍ ضم عددًا كبيرًا من الدراسات الرصينة ، التي كتبها عدد من علماء اليهود وفلاسفتُهم ، الذين تخصصوا في "علم نقد النصوص" .. أعلنت هذه الدراسات أن هذا الكتاب ـ العهد القديم ـ قد تدخّلت في كتابته وصياغته وإخراجه "أيدٍ بشرية" ـ على امتداد قرون ـ فلم يعد خالصًا لكلمات الله ـ بل إن أغلبه لا عَلاقة له بالوحي الذي نَزَل ـ التوراة ـ على موسى ـ عليه السلام .. فتوراة موسى قد نزَلت عليه بمصر ، وباللغة الهيروغليفية ، قبل غزو بني إسرائيل لأرض كنعان .. وقبل تبلور اللغة العبرية ـ التي هي في الأصل خليطٌ من لهجات أرض كنعان ـ بأكثرَ من قرن من الزمان ـ ولقد كُتبت أسفارُ العهد القديم ـ في معظمِها ـ إبَّانَ السَّبْي البابلِيّ [597 ـ 538 ق . م] بينما موسى عاش ومات ودفن بمصرَ في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ..

لقد جمع العالِم اليهودي "زالمان شازار" هذه الدراسات العلمية التي كتبها نخبةٌ من العلماء والفلاسفة اليهود ، الذين برعوا في "علم نقد النصوص" .. وصدرت هذه الدراسات في سِفْرٍ كبير ، حمل عنوان [تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث] .. في هذا الكتاب نقرأ ـ عن أسفار العهد القديم :

"إن هذه الأسفار المقدّسة هي من طبقات مختلفة ، وعصور متباينة ، ومؤلفين مختلفين ، حيث تستوعب هذه الأسفار ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة من الزمن . فلا ارتباط بينها ، سواء في أسلوب اللغة أم في طريقة التأليف ..

إن القسم الأكبر من توراتنا لم يُكتب في الصحراء .. وموسى لم يَكتب التوراة كلَّها .. وأقوال التوراة ليست إلا لفائف من أماكنَ وعصورٍ مختلفة لرجال وحكام وعشائر وأسباط مختلفة .. ففيها ثماني مجموعات تعود إلى عصور مختلفة ، وهي :

1 ـ لفائف قديمة تعود إلى عصر الصحراء (في سيناء) تم تحريرها من قِبَل أحد أبناء أفرايم .
2 ـ ولفائف من تعاليم الكهنة ، تمت إضافتُها إليها حتى عصر يوشع بن صادق .
3 ـ ولفائف أعداد الأسباط .
4 ـ ولفائف باعترافات الأنبياء .
5 ـ ومجموعات من روايات بيت داود .
6 ـ وأقوال الأنبياء ومجموعاتهم في بابل .
7 ـ وأقوال الكهنةِ والأنبياءِ العائدين من السَّبْيّ .
8 ـ وتكملات مختارة من عصر الحشمونيين ـ [أي القرن الثامن قبل الميلاد] .

إن سفر التكوين قد أُلّف بعد مئات السنين من استيطان اليهود في فلسطين ، وبعد أن تحصّن الأسباط في إرث استيطانهم بزمن طويل ، وإن مؤلف السِّفْر لم يكن موجودًا على كل حال قبل عصر إشعيا ـ [أي حوالي 734 - 680 ق . م] .

أما بالنسبة لسِفْرَيْ الخروج والعدد ، فإنهما معالجة لأساطير وأشعار قديمة ..

وإن الإصحاحات الثمانية والثمانين الموجودة في التوراة بين أنشودة موسى ـ الموجودة في سفر الخروج ـ وحتى الإصحاح الأخير من سفر العدد ـ هي ، في مجموعها ، كتاب أحكام مركب من أجزاء شعرية وتاريخية ، وأحكام وقواعد الكهنة . وطبيعة الأحداث التي فيها تستلزم أن تتزايد التغييرات والازدواجيات والتعديلات ، حيث إن العلاقة

بين الأحداث ضعيفة ، ومن الصعب علينا فهمها . وفي الأسفار كانت أقوال موسى قليلة إلى حد ما . كما أن أقوال داود قليلة في سفر آخرَ منسوبٍ إليه .." (28)

تلك شهادة علماء اليهود ، الذين برعوا في "علم نقد النصوص" ، في أسفار العهد القديم ، التي شاعت فيها أوصاف الازدراء للأنبياء والمرسلين .. تقول هذه الشهادة : إن علاقة هذه الأسفار بموسى واهية جدًّا .. وإن هذا الكتاب قد كُتب على امتداد ثلاثة آلاف عام .. "في عصور متباينة ، ومن مؤلفين مختلفين" .. ومن ثم عكس نفسياتٍ وظروفًا مختلفة ومتباينة .. فليس كلمة الله بحال من الأحوال !!

* وعلى هذا الدرب ـ دربِ تنزيه كلمات الله ووحيه عن هذا الذي حوته أسفار العهد القديم مما لا يناسب ولا يليق ـ سار خبراء العبرية والدراسات اليهودية .. فكتب الأستاذ الدكتور فؤاد حسنين علي ـ وهو من أبرز العلماء والخبراء في التوراة والتراث العبري ـ يقول :

"إن العبرية ـ التي هي خليط من الآرامية والكنعانية وكثير من اللغات ـ سامية وغير سامية ـ لا يرجع تاريخ ظهورها إلى ما قبل 1100 ق . م ..

وإذا علمنا أن موسى وُلد في مصر ، ونشأ في مصر ، وتثقف ثقافة مصرية ، وتدرج في مختلف الوظائف العسكرية حتى أصبح ـ كما يحدث المؤرخ اليهودي فلافيوس [37 ـ 100 م] ـ ضابطًا في الجيش المصري ، ولم يخرج مع مَنْ خرجوا إلى سيناء ـ التي كانت وقتئذٍ إقليمًا مصريًّا ـ إلا ليواصل حياته المصرية بعيدًا عن استبداد الفرعون ، ولم ير موسى فلسطين ، وتُوفِّيَ قبل أن تظهر العبرية إلى الوجود بأكثر من قرن ، فلغته كانت ، ولا شك ، اللغة المصرية القديمة .." (29)

ولقد ضرب الدكتور فؤاد حسنين الأمثلة على التناقضات والتغييرات والتحريفات التي أصابت نصوص هذه الأسفار ـ على امتداد قرون "تأليفها" ـ كما قال العلماء الخبراء اليهود ـ فقال :

"لقد درج بعض النُّسَّاخ على التعليق على النص دون الإشارة ، فضُمت تعليقاتُهم خطأً إلى المتن ، وقد وقع مثلُ هذا عند ذكر المدينة المصرية [سين ـ أسوان] إذ علق الناسخ بعبارة : "حصن مصري" ، فضمت هذه العبارة إلى المتن ـ [حزقئيل . إصحاح 30 : 15] ـ كما تعرضت عبارات وألفاظ كثيرة إلى التحريف ، فخرجت عن معانيها الأصلية ، فاضطرب المعنى واختل الأسلوب ـ [إشعيا . إصحاح 29 : 10] .

وذهب النّساخ بعيدًا فاستكملوا النصوص الناقصة ، مثلَ قانون الملك شموئيل الأول ـ [شموئيل الأول . إصحاح 8 : 10 - 21] .

كما استباح اليهودي ـ المتعصب لكتابه ـ لنفسه الحق في تغيير ما جاء في المتن ، لأنه لا يروقه ـ [أيوب ـ إصحاح 1 : 5] في العبارة المنسوبة إلى أيوب : "لأن أيوب قال : ربما أخطأ بني وجد فوا على الله في قلوبهم" .. هي ـ في الواقع ـ كما يعتقد مارتن لوثر ـ "أن أبنائي اقترفوا إثما وأنكروا الله" .. إلا أن الناسخ شق عليه إثبات هذا المعنى .

ومما يؤيد رأي مارتن لوثر ما جاء في العهد القديم ـ [مزمور 10 : 3] .

والآن نتساءل : ما مدى أصالة النص العبري ؟ هل هو النص الأصلي القديم الذي قد يُعتمد عليه ؟

يكفي الباحث أن يقرأ فيه هذه المواضع المكررة ـ [قابل بين مزمور 18 وشموئيل الثاني . إصحاح 22] ـ ليدرك قيمة هذا السؤال ..

والذي نعلمه أن هذا النص تعرض كثيرًا لأعمال الحرق والإبادة بسبب الحروب الداخلية أولاً ، والغزو الأجنبي ثانيًا ..

إن التوراة السامرية ـ وهي ترجع إلى القرن الرابع ق . م ـ تختلف عن النص الماسوري في أكثر من ستة آلاف موضع ، كما أن النسخة السامرية تتفق مع الترجمة السبعينية في الثلث .. والترجمة السبعينية ليست في مجموعها دقيقة ، وبخاصة في إشعيا والمزامير ودانيال ، حيث نجد الترجمة حرة غير دقيقة ، كما أن سِفر أرميا ينقص عن النَّص العبري نحو السُّبُع ، كما ينقص سفر أيوب نحو الرُّبُع .

كما نلاحظ الإضراب الكثير عن ترجمة بعض الألفاظ العبرية إلى اليونانية ، كما أن هذه الترجمة لم تتم في عصر بعينه ، فالتوراة مثلاً تمت ترجمتها في القرن الثالث ق . م . أما سائر الأسفار الأخرى فقد تُرجمت في عصور متأخرة . لذلك فالآراء متضاربة حول الترجمة السبعينية ، ليس فقط حول ترتيبها وتنسيق أسفارها ، بل حول اختلافها أحيانًا عن النص العبري وترتيب العهد القديم العبري ، فضلاً عن أن الترجمة السبعينية تضم أسفارًا ليست شرعية ، ولم ترد في النص العبري ، لذلك استُبدلت بترجمة أخرى ، ألا وهي ترجمة (ثيود وثيون 30) (Theod ofion)

فهذه الشهادات العلمية ـ الواقعية .. والتي استندت إلى قواعد علم نقد النصوص ـ تُسقط مصداقية هذه الأسفار التي كرست "ثقافة ازدراء الأنبياء والمرسلين" .. ومن ثم تطعن هذه الثقافة المزيفة والمغشوشة من الأساس . وتدعو الذين قدسوها .. وتربَّوْا عليها ، إلى الخروج من المستنقع الذي سقطوا فيه ..

* ولقد استند نقاد نصوص هذه الأسفار ـ كذلك ـ في نفي مصداقيتها وموثوقيتها ـ إلى ما حوته من تناقضات تُباعِدُ بينها وبين أن تكون كلامَ الله {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} ـ النساء : 82 .. وعن هذه التناقضات يقول العلامة الأستاذ الدكتور فؤاد حسنين علي :
"إنه لا يوجد بالتوراة التي بين أيدينا خبر يُشْتَمُّ منه أن موسى هو الذي جاء بها أو أُنزلت عليه ، بل على النقيض من هذا يوجد فيها ما يؤدي عكس هذا ، ومن هذه الأدلة مثلاً :
ـ ما جاء في الآية السادسة من الإصحاح الرابع من سفر التثنية بخصوص وفاة موسى ، فبعيدٌ البعدَ كلَّه أن يكون هذا الخبر صادرًا عنه ، فقد ورد في هذه الآية : "لا يعرف شخص قبره حتى يومنا هذا" .
ـ وفي الآية العاشرة من نفس الإصحاح جاء : "ولم يقم بعدُ نبي في إسرائيل مثل موسى ، فكان حليمًا جدًا أكبر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" .
فكل هذه الآيات وأمثالها تدلنا على أن المؤلف شخص آخر غير موسى ، كما أن هناك زمنًا بعيدًا بين وفاة موسى وبين تأليف التوراة التي بأيدينا .
ـ ومن الأدلة الأخرى على ذلك ، الاختلافات والتناقضات في النص ، كاستعمال [يهوه] و [إلوهيم] وبعض الألفاظ الأخرى التي نعلم أن معانيها تختلف أحيانًا حسب البنية وحسب الزمن .. والتي لا يمكن أن تكون قد صدرت عن شخص واحد في عصر واحد ..
ـ فقصة الخلق مثلاً جاءت في سفر التكوين ـ الإصحاح الأول : 27 ـ فيها : كان الإنسان آخرَ الخلق .
وعرض لنفس القصة في نفس السفر ـ الإصحاح الثاني : 4 ـ 25 ـ فكان الإنسان هو الأول ، وبعده جاءت الأشجار ، فحيوانات الحقول ، وطيور السماء .. الأمر الذي يجعل التوراة ـ كما هي الآن ـ وليدة عصور ونتاج عقليات متنوعة ..
ـ وقد استُغلت في سبيل وضعها مصادرُ عديدةٌ ـ بعضها تُرك كما هو ـ وبعضها حذف منه أو أضيف إليه ..
ومن أدلة تعدد المصادر : الاضطرابات الموجودة في بعض القصص ، مثل قصة الطوفان .. فالآية الثانية عشرة من الإصحاح السابع من سفر التكوين تنص على أنه دام [40] يومًا و [40] ليلة ، بينما نقرأ في الآية الرابعة والعشرين من الإصحاح السابع من نفس السفر أنه دام [150] يومًا .. ثم إن أقدم المخطوطات الموجودة للتوراة الحالية تفصل بينها وبين النسخة الأصلية التي كتبت عنها مدة تقرب من الألف عام ، وفي هذه المدة طرأ على الكتابة العبرية شيء كثير من التغيير والتبديل.." (30)

***

هكذا تهاوت ـ بشهادات العلماء الخبراء .. من اليهود وغيرهم ـ مصداقيةُ الأسفار التي أسست "لثقافة ازدراء الأنبياء والمرسلين" ـ ذلك الازدراء الذي مثل ويمثل "القتل المعنوي" لهؤلاء الأنبياء والمرسلين .. {أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون} .. البقرة : 87 ..
{وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله إن كنتم مؤمنين} البقرة : 91

****

شهادات العلماء المنصفين

وانطلاقًا من هذه النظرة النقدية للنصوص المؤسِّسة لـ"ثقافة ازدراء الأنبياء والمرسلين" .. وجدنا عشرات من العلماء والمفكرين الذين نظروا ـ بموضوعية ـ إلى حقائق الإسلام .. وسيرة رسوله عليه الصلاة والسلام .. والقرآن الكريم والفتوحات الإسلامية .. وإنجازات الأمة والحضارة التي أقامها هذا الدين .. فشهدوا الشهادات اللائقة والمناسبة للإسلام ورسوله ، حتى وهم على ديانتهم المخالفة للإسلام ..
• لقد نظروا إلى القرآن ، الذي جاء معلنًا تصديقه لما بين يديه من الكتب التي أوحى بها الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلى الأنبياء والمرسلين ، على امتداد تاريخ النبوات والرسالات ..
• ونظروا إلى رسول الإسلام ، الذي بدأت به وبرسالته السماحةُ مع الآخر ، حتى لقد جعل هذا "الآخرَ" جزءًا من "الذات" ، ذات الدين الإلهي الواحد ، الذي تتعدد في إطاره الشرائع والرسالات . الرسولِ الذي بنى دولة إسلامية

المرجعية ، تعددت فيها ، ديانات الأمية والرعية .. فنص دستورها ـ الذي وضعه الرسول سنة 1 هـ ، 622 م ـ على أن :
"لليهود دينَهم وللمسلمين دينَهم .. ومن تبعنا من يهود فإن لهم النصرَ والأسوةَ ، غيرَ مظلومين ، ولا نتناصر عليهم .. وأن بطانة يهود ومواليهم كأنفسِهم .. وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، على اليهود نفقتُهم ، وعلى المسلمين نفقتُهم ، وأن بينهم النصرَ على من حارب أهل هذه الصحيفة ـ [الدستور] .. وأن بينهم النصحَ والنصيحة والبرَّ المحضَ من أهل هذه الصحيفة ، دون الإثم ، لا يكسب كاسبٌ إلا على نفسه". (31)
• والذي أعطى النصارى .. كلَّ النصارى .. عبر الزمان والمكان ـ عهدَ الله وميثاقه سنة 10 هـ ، 631 م . على
"أن لهم جوارَ الله وذمة محمد النبي رسول الله ، على أموالهم ، وأنفسهم ، وملتهم ، وغائبهم ، وشاهدهم ، وعشيرتهم ، وبِيَعِهم ، وكلِّ ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، لا يُغير أسقف من أسقفيته ، ولا راهب من رهبانيته ..
وأن أحرس دينهم وملتهم أين كانوا .. بما أحفظ به نفسي وخاصتي وأهلَ الإسلام من ملتي .. ولا يحمَّلون من النكاح ـ [الزواج] ـ شططًا لا يريدونه ، ولا يُكره أهل البنت على تزويج المسلمين ، ولا يضارُّوا في ذلك إن مَنعوا خاطبًا وأبَوْا تزويجًا ، لأن ذلك لا يكون إلا بطيبة قلوبهم ، ومسامحة أهوائهم ، إن أحبوه ورضُوا به .
وإذا صارت النصرانية عند المسلم ـ [زوجة] ـ فعليه أن يرضى بنصرانيتها ، ويتّبعَ هواها في الاقتداء برؤسائها ، والأخذِ بمعالم دينها ، ولا يمنعَها ذلك ، فمن خالف ذلك ، وأكرهها على شيء من أمر دينها فقد خالف عهد الله وعصى ميثاق رسوله ، وهو عند الله من الكاذبين .
ولهم ـ [أي النصارى] ـ إن احتاجوا في مَرَمّة بيعهم وصوامعهم ، أو شيءٍ من مصالح أمورهم ودينهم ، إلى رفدٍ من المسلمين ، وتقويةٍ لهم على مَرمَّتها ، أن يُرفدوا على ذلك ويعاونوا ، ولا يكون ذلك دينًا عليهم ، بل تقوية لهم على مصلحة دينهم ، ووفاءً بعهد رسول الله ، وهبة لهم ، وسنة لله ورسوله عليهم.
.. لأني أعطيتهم عهد الله أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، وعلى المسلمين ما عليهم ـ حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم ..
واشترط ـ [الرسول] ـ عليهم أمورًا يجب عليهم في دينهم التمسك بها ، والوفاء بما عاهدهم عليه ، منها :
ألا يكون أحد منهم عينًا ولا رقيبًا لأحد من أهل الحرب على أحد من المسلمين في سره وعلانيته ، ولا ينزلوا أوطانهم ، ولا ضياعهم ولا في شيء من مساكن عباداتهم ولا يغرهم من أهل الملة ..
ولا يرفدوا ـ [يساعدوا] أحدًا من أهل الحرب على المسلمين ، بتقوية لهم بسلاح ، ولا خيل ولا رجال ولا غيرهم ، ولا يصانعوهم ..
وإن احتيج إلى إخفاء أحد من المسلمين عندهم ، وعند منازلهم ، ومواطن عباداتهم ، أن يؤدهم ويواسوهم فيما يعيشون به ما كانوا مجتمعين ، وأن يكتموا عليهم ، ولا يُظهروا العدو على عوراتهم ، ولا يخلوا شيئًا من الواجب عليهم .." (32)

***

كما نظر هؤلاء العلماء والمفكرون ـ من غير المسلمين ـ إلى الفتوحات الإسلامية ، فرأوْها قد حددت الشرق ، وعقائد شعوبه من القهر والاضطهاد الروماني ، الذي دام عشرة قرون من الإسكندر الأكبر [356 ـ 324 ق . م] ـ في القرن الرابع قبل الميلاد ـ إلى هرق [610 ـ 641 م] ـ في القرن السابع للميلاد ـ .. ثم تركت ـ هذه الفتوحات ـ الناسَ وما يَدينون .. فعاشت في الدولة الإسلامية كلُّ الديانات ـ السماوية والوضعية ـ دونما إكراه ..
لقد قرؤوا "الشهادات ـ الوثائق" التي أنصفت الفتوحات الإسلامية ، والتي شهد بها شهود مسيحيون .. ومنها :
1 ـ شهادة الأسقف الأرثوذكسي يوحنا النقيوسي : وهو على دينه .. بل ومع نقده الشديد للمصرين الذين سارعوا إلى الإسلام ، فور بدء الفتح ، وحتى قبل سقوط الإسكندرية بيد المسلمين ..
لقد شهد هذا الأسقف الأرثوذكسي ـ وهو شاهد العيان على الفتح الإسلامي لمصر ـ بأن هذا الفتح هو الذي "أنقذ" النصرانية الشرقية وأهلها وكنائسَها وأديرَتَها من الإبادة الرومانية .. وحقق لها ولأهلها عهد الأمان والسلام .. فقال :
"إن الله الذي يصون الحق ، لم يهمل العالم ، وحكم على الظالمين ، ولم يرحمهم لتجرئهم عليه ، وردهم إلى أيدي الإسماعيليين (العرب المسلمين) ـ ثم نهض المسلمون وحازوا كل مدينة مصر ..
وكان هرقل حزينًا .. وبسبب هزيمة الروم الذين كانوا في مدينة مصر ، وبأمر الله الذي يأخذ أرواح حكامهم .. مرض هرقل ومات ..
وكان عمرو بن العاص [50 ق . ه ـ 43 هـ ، 574 ـ 664 م] يقوى كل يوم في عمله ، ويأخذ الضرائب التي حددها ، ولم يأخذ شيئًا من مال الكنائس ، ولم يرتكب شيئًا ما ، سلبًا أو نهبًا ، وحافظ عليها [الكنائس] ـ طوال الأيام ..

ودخل الأبنا "بنيامين" [39 هـ ـ 659 م] بطرك المصريين مدينة الإسكندرية ، بعد هربه من الروم العام 13 ـ [أي العام الثالث عشر من تاريخ هروبه ـ بعد أن أقضه الفتح الإسلامي] ـ وسار إلى كنائسه ، وزارها كلَّها .. وكان كل الناس يقولون هذا النفي ، وانتصار الإسلام ، كان بسبب ظلم هرقل الملك ، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين .. وهلك الروم لهذا السبب ، وساد المسلمون مصر.. "
ولقد خطب الأنباء بنيامين في "دير مقاريوس" فقال :
"لقد وجدت في الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة ، اللتين كنت أنشدهما ، بعد الاضطهادات والمظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون.." (33)
هكذا شهد الأسقف الأرثوذكسي يوحنا النقيوس ـ شاهد العيان على الفتح الإسلامي لمصر ـ بأن هذا الفتح قد مثَّل "الإنقاذ" للنصرانية وأهلها .. كما شهد الأبنا بنيامين ـ الذي أمّنه الفتح الإسلامي وأعاده إلى رعيته ، وحرر له كنائسه المغتصبة .. ورد للأرثوذكسية شرعيتَها ، بعد أن كانت محظورة ـ كهرطقة ـ شهد بأن، هذا الفتح الإسلامي قد حقق "النجاة والطمأنينة" لمصر وأهلها .. ولعقائد المصريين ..
2 ـ وبعد خمسة قرون من الفتح الإسلامي ، وقيام الدولة الإسلامية .. شهد على ذات الحقيقة البطريق ميخائيل الأكبر [1126 ـ 1199 م] بطريق أنطاكية اليعقوبي ، فقال :
"إن إله الانتقام ، الذي تفرد بالقوة والجبروت ، والذي يزيل دولة البشر كما يشاء ، فيؤتيها من يشاء ، لما رأى شرور الروم ، الذين لجئوا إلى القوة ونهبوا كنائسنا ، وسلبوا أديرتنا في كافة ممتلكاتهم ، وأنزلوا بنا العقاب في غير رحمة ولا شفقة ، أرسل إلينا أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم .. ولما أسلمت المدن للعرب ، خصص هؤلاء لكل طائفة الكنائسَ التي وُجدت في حوزتها .. ولم يكن كسبًا هينًا أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنَقهم وتحمسهم العنيف ضدنا ، وأن نجد أنفسنا في أمن وسلام". (34)
هكذا ظل رجال الدين المسيحي ـ بعد قرون من الفتح الإسلامي .. والتعايش مع الإسلام والدولة الإسلامية ـ يعلنون أن الفتح الإسلامي قد مثل بالنسبة لعقائدهم وكنائسهم "الخلاص والإنقاذ .. والأمن والسلام" ..
3 ـ على ذات الحقيقة شهد المؤرخ القبطي يعقوب نخلة روفيلة [1847 ـ 1905 م] في القرن العشرين فكتب يقول :
"ولما ثبت قدَمُ العرب في مصر ، شرع عمرو بن العاص في تطمين خواطر الأهْلِين واستمالة قلوبهم إليه ، واكتساب ثقتهم به ، وتقريب سراة القوم وعقلائهم منه ، وإجابة طلباتهم" .
وأول شيء فعله من هذا القبيل استدعاءُ "بنيامين" البطريرك ، الذي اختفى من أيام هرقل ملك الروم ، فكتب أمانًا وأرسله إلى جميع الجهات يدعو فيه البطريرك للحضور ، ولا خوف عليه ولا تثريب .
ولما حضر ، وذهب لمقابلته ليشكره على هذا الصنيع ، أكرمه ، وأظهر له الولاء ، وأقسم له بالأمان على نفسه وعلى رعيته . وعزل البطريرك الذي كان أقامه هرقل ، ورد "بنيامين" إلى مركزه الأصلي معزَّزًا مكرَّمًا ..
وكان بنيامين موصوفًا بالعقل والمعرفة والحكمة حتى سماه بعضهم بالحكيم ، وقيل : إن عمرو لما تحقق ذلك منه ، قربه إليه ، وصار يدعوه في بعض الأوقات ويستشيره في الأحوال المهمة المتعلقة بالبلاد وخيرها .. وقد حسَبَ الأقباط هذا الالتفات منّة عظيمة وفضلاً جزيلاً لعمرو .
واستعان عمرو في تنظيم البلاد بفضلاء القبط وعقلائهم على تنظيم حكومة عادلة تضمن راحة الأهالي ، فقسم البلاد إلى أقسام يرأس كلاً منها حاكمٌ قبطي ينظر في قضايا الناس ويحكم بينهم ، ورتب مجالسَ ابتدائية واستئذنا فيه مؤلفة من أعضاء ذوي نزاهة واستقامة ، وعيّن نوابًا من القبط ، ومنحهم حقَّ التدخل في القضايا المختصة بالأقباط والحكم فيها بمقتضى الشرائع الدينية والأهلية ، وكانوا بذلك في نوع من الحرية والاستقلال المدني ، وهي ميزة كانوا قد جُرِّدوا منها في أيام الدولة الرومانية ..
وضرب عمرو بن العاصر الخراج على البلاد بطريقة عادلة .. وجعله على أقساط في آجال معينة ، حتى لا يتضايق أهل البلاد .
وبالجملة ، فإن القبط نالوا في أيام عمرو بن العاص راحة لم يرَوْها من أزمان.." (35)
* وعندما حاول الرومان اختطاف مصر من التحرير الإسلامي ، واحتلوا الإسكندرية سنة 25 هـ ، 646 م ـ في عهد الخليفة عثمان بن عفان [47 ق هـ ـ 35 هـ 577 ـ 656 م] هب أقباط مصر للقتال مع الجيش الإسلامي ضد الرومان .. وطلبوا من الخليفة إعادة عمرو بن العاص [50 ق هـ ـ 43 هـ ـ 574 ـ 664 م] لقيادتهم في صد الغزو الروماني " وبشهادة يعقوب نخلة روفيله ـ صاحب [تاريخ الأمة القبطية] :
"فإن المقوقس والقبط تمسكوا بعهدهم مع المسلمين ، ودافعوا عن المدينة ـ [الإسكندرية] ـ ما استطاعوا .. واجتمعت كلمة القبط والعرب على أن يطلبوا من الخليفة أن يأذن لعمرو بن العاص في العودة إلى مصر لمقاتلة الروم ، لتدرُّبِهِ على الحرب ، وهيبتِه في عين العدو ، فأجاب الخليفة طلبهم ..

وكان القبط يحاربون مع العرب ويقاتلون الروم خوفًا من أن يتمكنوا من البلاد ويأخذوها فيقع الأقباط في يدهم مرة أخرى.. " (36)

4 ـ وفي شهادة نصرانية معاصرة .. يقول المؤرخ الدكتور "جاك تارجر" [336 - 1371 هـ 1918 - 1952 م] :

"إن الأقباط قد استقبلوا العرب كمحرّرين ، بعد أن ضمن لهم العرب ، عند دخولهم مصر ، الحرية الدينية ، وخففوا عنهم الضرائب .. ولقد ساعدت الشريعة الإسلامية الأقباط على دخولهم الإسلام وإدماجهم في المجموعة الإسلامية ، بفضل إعفائهم من الضرائب .. أما الذين ظلوا مخلصين للمسيحية فقد يسّر لهم العرب سبلَ كسبِ العيش .. إذ وكَلُوا لهم أمر الإشراف على دخل الدولة.. " (37)

***

5 ـ وعن الهنّات والشوائب والتوترات الدينية ، التي شهدها التاريخ الإسلامي .. وعن أسباب هذه التوترات .. كتب المفكر والباحث النصراني المعاصر الدكتور جورج قرم .. فقال :

"إن فترات التوتر والاضطهاد لغير المسلمين في الحضارة الإسلامية كانت قصيرة ، وكان يحكمها ثلاثة عوامل :

العامل الأول : هو مزاج الخلفاء الشخصي ، فأخطر اضطهاديْن تعرض لهما الذميون وقعا في عهد المتوكل العباسي [206 - 247 هـ 821 - 861 م] الخليفة الميال بطبعه إلى التعصب والقسوة .. وفي عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله [375 - 411 هـ 985 - 1021م] الذي غالى في التصرف معهم بشدة ..

العامل الثاني : هو تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لسواء المسلمين ، والظلم الذي يمارسه بعض الذميين المعتَلين لمناصب إدارية عالية ، فلا يَعسُر أن ندركَ صلتهما المباشرة بالاضطهادات التي وقعت في عدد من الأمصار...

أما العامل الثالث :

فهو مرتبط بفترات التدخل الأجنبي في البلاد الإسلامية ، وقيام الحكام الأجانب بإغراء واستدراج الأقليات الدينية غير المسلمة إلى التعاون معهم ضد الأغلبية المسلمة .

إن الحكّام الأجانب ـ بمن فيهم الإنجليز ـ لم يُحْجِموا عن استخدام الأقلية القبطية في أغلب الأحيان ليَحْكُموا الشعب ويستنزفوه بالضرائب ـ وهذه ظاهرة نلاحظها في سوريا أيضًا ، حيث أظهرت أبحاث "جب" [1895 - 1971 م] و "وبولياك" كيف أن هيمنة أبناء الأقليات في المجال الاقتصادي أدت إلى إثارة قلاقل دينية خطيرة بين النصارى والمسلمين في دمشق سنة 1860 م ، وبين الموارنة والدروز في جبال لبنان سنة 1840 وسنة 1860 م .

ونهايات الحملات الصليبية قد أعقبها ، في أمكان عديدة ، أعمالُ ثأرٍ وانتقامٍ ضد الأقليات المسيحية ـ ولاسيما الأرمن ـ التي تعاونت مع الغازي .

بل إنه كثيرًا ما كان موقف أبناء الأقليات أنفسِهم من الحكم الإسلامي ، حتى عندما كان يعاملهم بأكبر قدرٍ من التسامح ، سببًا في نشوب قلاقل طائفية ، فعلاوة على غلو الموظفين الدينيين في الابتزاز ، وفي مراعاتهم وتحيُّزهم إلى حد الصفاقة أحيانًا لأبناء دينهم ، ما كان يندر أن تصدر منهم استفزازات طائفية بكل معنى الكلمة.." (38)

تلك شهادات نصرانية شرقية ـ قديمة .. ووسيطة .. وحديثة .. ومعاصرة ـ على عدل الإسلام .. وعلى تحرير الفتوحات الإسلامية للأوطان والعقائد والضمائر .. وعلى العدل الذي أقامته الحضارة الإسلامية مع غير المسلمين ..

***

أما المفكرون الغربيون ، الذين شهدوا للإسلام .. وكتابه .. ورسوله .. وأمته .. وحضارته ، وهم على نصرانيتهم ـ فإن شهاداتهم تمتلئ بها مجلدات .. ويكفي أن نقدم هنا ـ وفي هذا الحيز ـ نماذج من هذه الشهادات ..

6 ـ لقد قال المستشرق الفرنسي إدوارد مونديه [1856 - 1927 /] وهو الذي ترجم القرآن للفرنسية .. وألف كتاب [حاضر الإسلام ومستقبله] :

قال عن عقلانية الإسلام .. وأثر هذه العقلانية في انتشار الإسلام :

"إن الإسلام في جوهره دين عقلي ، بأوسع معاني هذه الكلمة من الوجهتين، الاشتقاقية والتاريخية ، فإن تعريف الأسلوب العقلي ، بأنه طريقة تقيم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق ، ينطبق على الإسلام تمام الانطباق .

إن لدين محمد كلَّ العلامات التي تدل على أنه مجموعة من العقائد قامت على أساس المنطق والعقل .. إن الإيمان بالله والآخرة ـ في الإسلام ـ يستقران في نفس المتدين على أساس ثابت من العقل والمنطق ، ويلخصان كل تعاليم العقيدة

التي جاء بها القرآن . وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها لهي ، على وجه التحقيق ، من أظهر القوى الفعالة في الدين وفي نشاط الدعوة إلى الإسلام ..

لقد حفظ القرآن منزلته من غير أن يطرأ عليه تغيير أو تبديل ، باعتباره النقطة الأساسية التي بدأت منها تعاليم هذه العقيدة ، وقد جهر القرآن دائمًا بمبدأ الوحدانية في عظمة وجلال وصفاء لا يعتريه التحول ، ومن العسير أن نجد في غير الإسلام ما يفوق تلك المزايا .. وفي هذا تكمن الأسباب الكثيرة التي تفسّر لنا نجاح جهود الدعاة المسلمين ..

وكان من المتوقع لعقيدة محددة كلَّ التحديد ، خالية كلَّ الخلو من جميع التعقيدات الفلسفية ـ ثم تبعًا لذلك في متناول إدراك الشخص العادي ـ أن تمتلك ـ وإنها لتمتلك فعلاً ـ قوة عجيبة لاكتساب طريقها إلى ضمائر الناس.." (39)

7 ـ وقال المستشرق الإيطالي الأمير "كايتاني ـ ليون" [1869 ـ 1926 م] ـ وهو الخبير في الإسلام والدراسات الإسلامية .. وتحقيق التراث الإسلامي :

"إن انتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعور باستياء عن السفسطة المذهبية التي جلبتها الروح الهلينية إلى اللاهوت المسيحي ..

أما الشرق ، الذي عُرف بحبه للأفكار الواضحة البسيطة ، فقد كانت الثقافة الهلينية وبالاً عليه من الوجهة الدينية ، لأنها أحالت تعاليم المسيح البسيطة السامية إلى عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة ، مليئة بالشكوك والشبهات ، فأدى ذلك إلى خلق شعور من اليأس ، بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها ..

فلما أهلّت ، آخرَ الأمر ، أنباءُ الوحي الجديد فجأة من الصحراء ، لم تعد المسيحية الشرقية ، التي اختلطت بالغش والزيف ، وغرقت بفعل الانقسامات الداخلية ، وتزعزعت قواعدها الأساسية ، واستولى على رجالها اليأس والقنوط من مثل هذه الريب ، لم تعد المسيحية بعد تلك قادرةً على مقاومة وإغراء هذا الدين الجديد الذي بدد بضربة من ضرباته كل الشكوك التافهة ، وقدم مزايا مادية جليلة ، إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التي لا تقبل الجدل ، وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى في أحضان نبي بلاد العرب.." (40)

8 ـ وقال اللاهوتي الإيطالي الأب مراتشي [1612 ـ 1700 م] ـ وهو الذي نشر القرآن ـ متنًا وترجمة ـ بالإيطالية .. وأسهم في ترجمة العهدين القديم والجديد .. فكان خبيرًا بالمقارنة بين العقائد للديانات الثلاث :

"لو قارن إنسان بين أسرار الحالة الطبيعية البسيطة التي فاقت طاقة الذكاء البشري ، أو التي هي ـ على الأقل ـ من الصعوبة بمكان ، إن لم تكن مستحيلة ـ [العقيدة المسيحية] ـ وبين عقيدة القرآن ، لانصرف عن الأولى في الحال ، وأسرع إلى الثانية في ترحيب وقبول.." (41)

9 ـ وقال الفيلسوف الأمريكي "جون تاليور" [1753 ـ 1824 م] عن دور عقلانية الإسلام في انتشاره :

"إنه من اليسير أن ندرك لماذا انتشر هذا الدين الجديد بهذه السرعة في إفريقيا وآسيا .. كان أئمة اللاهوت في إفريقيا والشام قد استبدلوا بديانة المسيح عقائد ميتافزيقية عويصة ، ذلك أنهم حاولوا أن يحاربوا ما ساد هذا العصر من فساد بتوضيح فضل العزوبية في السماء ، وسمَوْا بالبكورية إلى مرتبة الملائكة ، فكان اعتزال العالم هو الطريق إلى القداسة ، والقذارة صفة لطهارة الرهبنة ، وكان الناس في الواقع مشركين يعبدون زمرة من الشهداء والقديسين والملائكة .. ، كما كانت الطبقات العليا مخنثة يشيع فيها الفساد ، والطبقات الوسطى مرهقة بالضرائب ، ولم يكن للعبيد أمل في حاضرهم ولا مستقبلهم ، فأزال الإسلام ـ بعون الله ـ هذه المجموعة من الفساد والخرافات .

لقد كان ثورةً على المجادلات الجوفاء في العقيدة ، وحجة قوية ضد تمجيد الرهبانية باعتبارها أس التقوى . وقد بين أصول الدين التي تقول بوحدانية الله وعظمته ، كما بين أن الله رحيم عادل يدعو الناس إلى الامتثال لأمره والإيمان به وتفويض الأمر إليه .. وأعلن أن المرء مسئول ، وأن هناك حياة آخرة ويومًا للحاسب ، وأعد للأشرار عقابًا أليمًا ، وفرض الصلاة والزكاة والصوم وفعل الخير ، ونبذ الفضائل الكاذبة والدجل الديني والترهات والنزعات الأخلاقية الضالة ، وسنسطة المنازعين في الدين ، وأحل الشجاعة محل الرهبنة ، ومنح العبيد رجاءً ، والإنسانية إخاءً ، ووهب الناس إدراكًا للحقائق الأساسية التي تقوم عليها الطبيعة البشرية" (42)

10 ـ وقال العلامة الألماني آدم متز [1869 ـ 1917 م] ـ عن سماحة الإسلام مع غير المسلمين في إدارة جهاد الدولة الإسلامية :

"لقد كان النصارى هم الذي يحكمون بلاد الإسلام" ! (43)

11 ـ وقال العالم الإنجليزي جورج سيل [1697 ـ 1736 م] ـ وهو الذي ترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية ـ عن انتشار الإسلام ـ :

"لقد صادفت شريعة محمد ترحيبًا لا مثيل له في العالم .. وإن الذين يتخيلون أنها انتشرت بحد السيف إنما ينخدعون انخداعًا عظيمًا.." (44)

12 ـ وقال العلامة الإنجليزي "سير توماس أرنولدٍ" [1864 ـ 1930 م] صاحب الكتاب [العمدة الدعوة إلى الإسلام] .

"إن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق .. إن النظرية العقدية الإسلامية "لتمز . م" التسامح وحرية الحياة لجميع أتباع الديانات الأخرى .
ولقد قيل إن "جستينان" [483 - 565 م] - الإمبراطور الروماني - أمر بقتل مائتي ألف من القبط في مدينة الإسكندرية ، وإن اضطهادات خلفائه قد حملت كثيرين على الالتجاء إلى الصحراء ..
وقد جلب الفتح الإسلامي إلى هؤلاء القبط .. حياة تقوم على الحرية الدينية التي لم ينعموا بها من قبل ذلك بقرن من الزمان . لقد تركهم الفتح الإسلامي أحرارًا ، وكفل لهم حرية إقامة شعائرهم الدينية ، وخلَّصهم من التدخل المستمر الذي من عبئة الثقيل في ظل الحكم الروماني ، ولم يضع المسلمون أيديهم على شيء من ممتلكات الكنائس .

****

مصادر الدراسة

المصادر والمراجع :
القرآن الكريم
العهد القديم
العهد الجديد
آدم متز : [الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري] ، ترجمة : د. محمد عبد الهادي أبو ريدة - طبعة بيروت ، 1967 م .
د. أحمد عبد الوهاب : [المسيح في مصادر العقائد المسيحية] طبعة مكتبة وهبة - القاهرة ، 1978 م .
أرنولد - سير. توماس : [الدعوة إلى الله] ترجمة : د. حسن إبراهيم حسن ، د. عبد المجيد عابدين ، إسماعيل النحراوي - طبعة القاهرة ، 1970 م .
د. جاك تاجر : [أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام 1922م[طبعة الهيئات القبطية بالخارج - مدينة جرسي - أمريكا ، 1984 .
جعفر حسن عتريس (الشيخ) : [التوراة والإنجيل والقرآن بين الشهادات التاريخية والمعطيات العلمية] طبعة دار الهادي - بيروت 1424 هـ ، 2003 م .
د. جورج قرم : [تعدد الأديان ونظم الحكم] طبعة بيروت ، 1979 م .
رودنسون - مكسيم : [الصورة الغربية والدراسات العربية الإسلامية] ، بحث منشور بكتاب [تراث الإسلام] ترجمة : محمد زهير السمهوري - مراجعة : د. شاكر مصطفى - طبعة الكويت ، عالم المعرفة ، 1978 .
زالمان شازار - محرر - : [تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث] ، ترجمة : أحمد محمد هويدي ، تقديم ومراجعة : د. محمد خليفة حسن - طبعة المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2000 م .
د. سعد الدين إبراهيم : [الملل والنحل والأعراق] طبعة القاهرة ، 1990 م.
د. سيجريد هونكة : [العقيدة والمعرفة] ترجمة : عمر لطفي العالم ، طبعة دار قتيبة ، دمشق ، 1983 م .
[الله ليس كذلك] ترجمة : د. غريب محمد غريب . طبعة دار الشروق - القاهرة ، 1995 م .
د. صبري أبو الخير سليم : [تاريخ مصر في العصر البيزنطي] طبعة دار عين ، القاهرة ، 2001 م .
د. عبد الصبور مرزوق - تصنيف - [معجم الأعلام والموضوعات في القرآن الكريم] طبعة دار الشروق - القاهرة ، 1415 هـ ، 1995 م .
عبد الوهاب النجار (الشيخ) : [قصص الأنبياء] طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت - بدون تاريخ .
د. فؤاد حسنين علي : [التوراة الهيورغليفية] طبعة دار الكاتب العربي - القاهرة - بدون تاريخ .
[التوارة : عرض وتحليل] طبعة القاهرة ، 1946 م .
فيليب فارج ، يوسف كرباج : [المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي] ترجمة : بشير السباعي - طبعة دار سينا - القاهرة ، 1994 م .
د. محمد ح ميد الله الحيدر آبادي - محقق - [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة] طبعة القاهرة ، 1956 م .

محمد عبده ـ الأستاذ الإمام : [الأعمال الكاملة] دارسة وتحقيق : د. محمد عمارة ـ طبعة بيروت 1972 م . وطبعة دار الشروق ـ القاهرة ، 2006 م .
د. محمد عمارة : [الفاتيكان والإسلام ، طبعة مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة ، 2007 م .
[الإسلام في عيون غربية] طبعة دار الشروق ـ القاهرة ، 2005 م .
[الدراما التاريخية وتحديات الواقع المعاصر] طبعة مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة ، 2005 م .
[الفتنة الطائفية : متى .. وكيف .. ولماذا؟] طبعة دار السلام ـ القاهرة ، 2008 م .
د. موريس بوكاي :
[دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديث] طبعة دار المعارف ـ القاهرة ، 1977 م .
د. مونتجمري وات :
[الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر] ترجمة : د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ ـ طبعة الهيئة العامة للكتاب ـ مكتبة الأسرة ـ القاهرة ، 2001 م
.
هوبرت هيركوبر :
[صورة الإسلام في التراث الغربي] ترجمة : ثابت عيد . تقديم : د. محمد عمارة ، طبعة دار نهضة مصر ـ سلسلة في التنوير الإسلامي ـ القاهرة ، 1999 م .
يعقوب نخلة روفيلة :
[تاريخ الأمة القبطية] تقديم : د. جودت جبرة ـ طبعة مؤسسة مارمرقس لدراسة التاريخ ـ القاهرة ، 2000 م .
يوتا ـ (الأب) :
موقع الهيئة القبطية الكندية ـ الشبكة العالمية للمعلومات ـ الإنترنت .
يوحنا النقيوس ـ (الأسقف) :
[تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي : رؤية قبطية للفتح الإسلامي] ترجمة ودراسة : د. عمر صابر عبد الجليل ـ طبعة مكتبة عين ـ القاهرة ، 2000 م .
موسوعات :
[دائرة المعارف البريطانية]
دوريات :
الأهرام ـ القاهرة
الحياة ـ لندن
الشرق الأوسط ـ لندن
العربي ـ القاهرة
نيوزويك ـ أمريكا

****

****

***

*